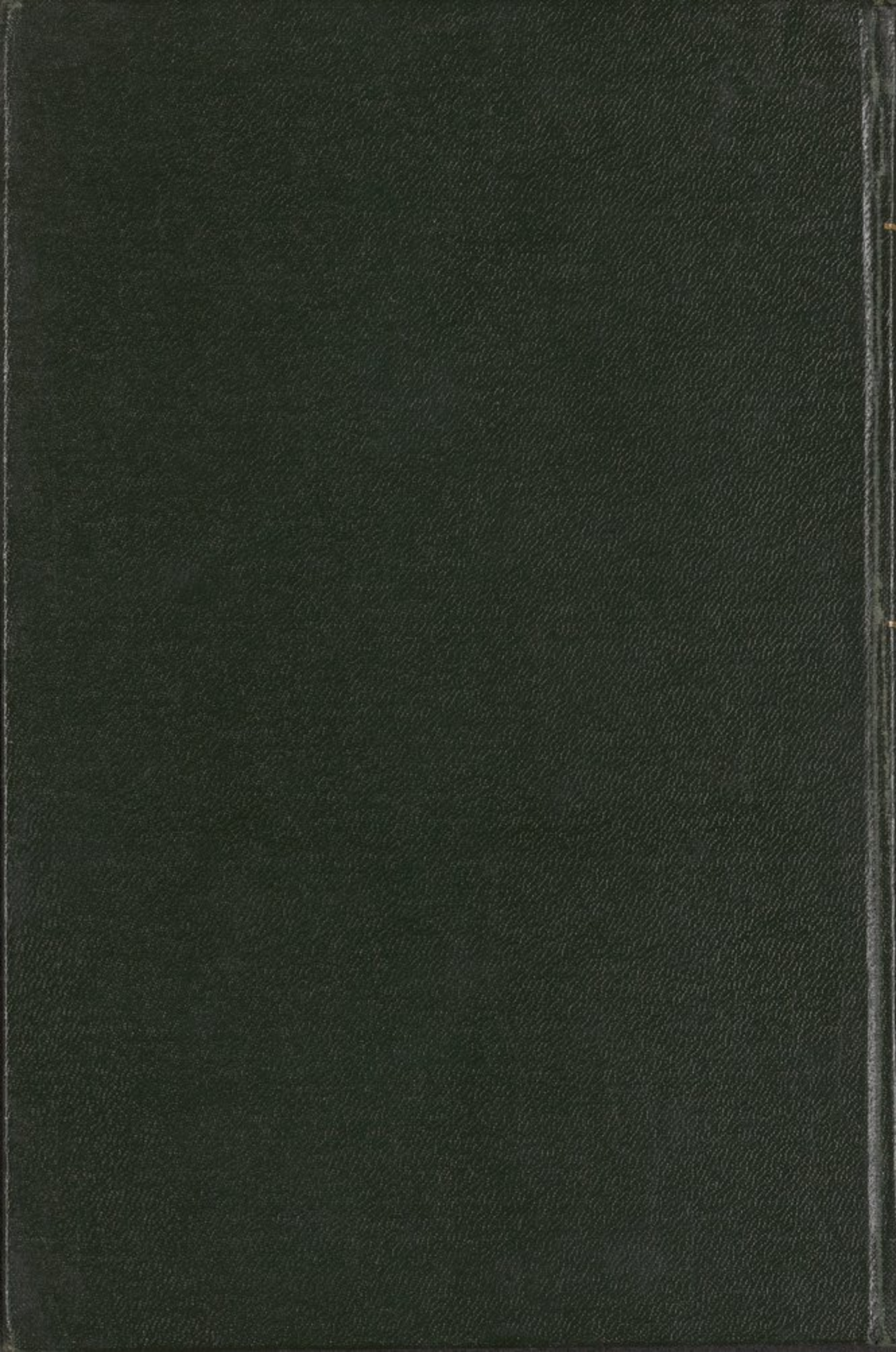




AMERICAN UNIVERSITY

LIBRARY

OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY

1 8 MAY 1968

HARISSA TEL. 72

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

- ١٢ -

892.7109

F246KA

خَمْسَةُ شُعْرَاءَ جَاهِلِيَّوْنَ

مَعَ تَمْهِيدٍ مُفَصَّلٍ فِي اخْتِصَائِصِ الشُّعْرَاءِ جَاهِلِيٍّ وَفُنُونِهِ

تأليف

ع. فروغ

دكتور في الفلسفة

عضو المجتمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٠ هـ = ١٩٥١

منشورات مكتبة ميسنم - بيروت - المعرض

الطبعة الاولى ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م
الطبعة الثانية
٥١/٩/٢٠٠٠/٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
ذو الحجة ١٣٧٠
ايلول ١٩٥١

نطاق هذه الدراسة

كان المقصود - في اول الامر - ان تكون هذه الدراسات كلها في متناول طلاب البكالوريا اللبنانية . ولكن منهاج البكالوريا اللبنانية وضع من اول امره مشوهاً ابتز ناقصاً في ناحية ومزدحماً في ناحية ثانية . وهو لا يزال كذلك على الرغم من انه قد اصلح مرتين وهو اليوم في دور الاصلاح للمرة الثالثة .

من اجل هذا وضعت هذه الدراسات مستقلة عن « ارادة » واضع منهاج البكالوريا الرسمي فجاءت الدراسات شاملة منسقة ، وجاءت مواد منهاج الرسمي في خلاها .

ان منهاج القديم الذي سبظل مطبقا في الامتحانات الرسمية حتى سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، قوامه في الادب الجاهلي ، ما يلي :

امرو القيس - المعلقة

طرفة - المعلقة

النابعة - مختارات

عنقرة - المعلقة

زهير بن ابي سلمى - المعلقة .

اما منهاج الذي سيبدأ تطبيقه في الامتحانات الرسمية ابتداء من دورة حزيران - تموز سنة ١٩٥٥ فقوامه في الادب الجاهلي ايضاً :

في السنة الخامسة

نظرة تاريخية في تسلسل عصور الادب - الجاهلية - سيرة عنقرة .

الشعر : الرثاء : المهمل - (الحنساء) .

الفخر : عنقرة .

الشعر الحكمي والتعليمي : تحديده - زهير - ليبيد - عدي بن زيد .

في السنة السادسة (السنة التي يتقدم فيها الطالب لامتحان البكالوريا)

الشعر الملحمي : تحديده - نشأته - مظاهره في المعلقات (عمرو بن كلثوم -
الحارث بن حِزَازة - عنبرة) .

الشعر الغنائي : اللهو والتمزيات : الاعشى . الوصف : امرؤ القيس .

الشعر السياسي : النابغة .

خواطر في الحياة والموت : طرفة .

شخصية أدبية : النابغة .

فالمنهاج كما ترى واسع ، ومع ذلك فهو لا يمثل تطور الادب العربي على الرغم
من أن التلميذ مطالب بنظرة تاريخية في عصور الادب .

* *

فنطاق هذه الدراسة اذن اوسع مما يتطلبه منهاج البكالوريا الرسمي ، ولكنه
نطاق ضروري لتذوق الشعر العربي وللإحاطة بأوجه فنونه في الجاهلية ، مع
التمثيل على كل ذلك من شعر الشعراء المكثرين والمقلدين من اشتهر في تاريخ
الادب او لم يشتهر .

ان الادب صورة الحياة فيجب ان تكون هذه الصورة في الكتب واضحة
صحيحة قدر الامكان .

١٨ ذي القعدة ١٣٧٠

٢١ آب ١٩٥١

ع.ف

صحة الشعر الجاهلي

تطرق الشك الى صحة الشعر الجاهلي منذ ايام ائمة الشعر الاواين ، ومن هؤلاء تناول المستشرقون هذا الشك فافاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتابنا المحدثون . واذا كان الشك قد تطرق الى جميع ما يستند الى الاخبار المروية - وخصوصاً ما كان قديماً - والى ما كان مدوناً في بعض الاحيان ، فليس من المستغرب ان يتطرق الى الشعر الجاهلي ايضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدونوا هذا الشعر بل اكتفوا بان يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي ازمئة متطاولة وفي احوال مؤاتية او غير مؤاتية فقد :

(١) نسي بعضه فضاع .

(٢) نسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمداً او سهواً ، الى غير قائله .

(٣) رغب بعض الافراد بالدفاع عن انسابهم او باختلاق احساب لهم ولاسلافهم فعمدوا الى نظم ابيات او مقطعات او قصائد ، او انهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين مثل ذلك ثم نسبوه الى شعراء متقدمين .

(٤) كذلك اراد بعض اللغويين ان يستروا خطأ وقعوا فيه فاختلقوا له شاهداً و « نخلوه » شاعراً قديماً او دسوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نخل الشعر » .

وعلى هذا نشك نحن ايضاً في صحة بعض الشعر الجاهلي ، ولكن لا نشك فيه كلاً ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لان « الناحل » يستطيع ان يقلد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع ان يخلق شاعراً ولا ان يتلبس بشخصية شاعر . واذا استطاع ان يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل

يستطيع ان يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء امثال امرئ القيس وطرفة وعنترة
والاعشى معاً؟ اصف الى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين
المختلفة ، فنرى عبيد بن الابوص يذكر معاصره امرأ القيس ثم نجد امرأ القيس
يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر - سواء اكان فرداً ام
كانوا نفرأ - ان يلموا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك الاشارات المتأخرة في
القرآن الكريم الى الشعر الجاهلي ثم الاشارات في دواوين الشعراء الامويين والعباسيين
الى الشعراء الجاهليين باسمائهم وخصائصهم ، كقول الفرزدق (ت ١١٠هـ ، ٧٢٨م) :

وهب القصائد لي النوابع اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول
والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
واخو بني قيس وهن قتلنه ومهمل الشعراء ذاك الاول
والاعشيان كلاهما ومرقش واخو قضاة قوله يتمثل
واخو بني أسد عبيد اذ مضى وابو دؤاد قوله يتنخل
وابنا ابي سلمى زهير وابنه وابن الفريعة حين جد المقول
الى آخر ما عدد . حينئذ انتصب له جرير (ت ١١٠هـ) ونقض عليه معانيه
وعيره بترديد اسماء الشعراء الاقدمين :

حسب الفرزدق ان تسب مجاشع ويعد شعر مرقش ومهمل
يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع ان يدفع السباب عن قبيلة مجاشع
فينحرف الى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

اذا كانت ثمت ابيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين واذا كانت هنالك قصائد
قد نسبت سهواً او عمداً الى غير اصحابها او غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما
يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله .

ولا تحسبن ان هذا خاص بالادب العربي وحده بل هو عام في الآداب كلها
وحسبك ان تعرف ان الياذة هوميروس عرضة لا كبر من هذا الشك ، فاطلب
ذلك في مظانته .

الجاهلية والشعر الجاهلي

الجاهلية

« الجاهلية » اسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام وامتد نحو مائة وخمسين عاماً (٤٧٥ - ٦٢٢ م) ، وهي الحقبة التي نعرف بعض تاريخها بشيء من التفصيل او الدقة . والجاهلية هنا مشتقة من « الجهل » الذي هو ضد الحلم لا الذي هو ضد العلم ، ذلك لان العرب حازوا في تلك الحقبة علوماً فطرية كثيرة كالطب وعلم النجوم وعلم الرياح واقتفاء الاثر والكهانة والعرافة ، اضاف الى ذلك كله ان آدابهم من شعر ونثر كانت تتكشف عن مقدرة لغوية عظيمة وعن رقي عقلي كبير وعن حكم ونظرات في الحياة والموت والاخلاق والاجتماع مما لم ينحط عن علوم الذين جاورهم في عصرهم ذلك .

على ان حياة العرب قبل الاسلام كانت بعيدة في بعض نواحيها عن الحلم : كان اقوام منهم يعبدون الاصنام التي حملت الى جزيرتهم من بعض البلدان المجاورة ، وكانوا يستقسمون بالازلام ويلعبون القمار ويشربون الخمر ، ويئذ الفقراء منهم اولادهم (بنات وصبياناً) . وربما فعل الاغنياء مثل ذلك . وكان لهم في الزواج عادات مستقبة : ربما تزوج احدهم بضع مائة امرأة . وكانوا يطلقون نساءهم او يراجعونهن بايسر سبيل . وكان الوالد يزوج ابنته بمن اراد هو ويأخذ مهرها فينفقه في حاجاته هو لا في سبيل زواجها هي . وكان عندهم الظهار (وذلك ان يغضب الرجل من امرأته فيقول لها : « انت علي كظهر امي » ، ثم لا يقربها بعد ذلك مع بقائها في عصمته) . وكان عندهم زواج المقت (وذلك ان الرجل اذا مات وخلف نسوة جاز لابنائه ان يتزوجوا بهن على شرط الا يتزوج احدهم بامه هو) . وكذلك كان عندهم التبني (وهو ان يتخذ احدهم اشخاصاً من غير نسله اولاداً له يلقيهم باهله ويورثهم الخ .)

ومن سيئات العرب قبل الاسلام « الحمية الجاهلية » التي قامت على العصبية وحملت الافراد على ان يأخذوا بثأرهم من غرماهم بأيديهم فوقعت العداوة بين

القبائل واتصلت الحروب في شبه الجزيرة سنين طويلاً . بمثل هذه العادات سمي القرآن الكريم ' العرب ' قبل الاسلام « اهل الجاهلية » .

الا انه من الانصاف ان نذكر الى جانب هذه السيئات حسنات اسلافنا . كان اولى تلك الحسنات « البر » وذلك ان العرب كانوا اهل فطرة ولم يكن لهم دين مُنْزَل فكانوا يخافون الله ويفعلون الخير الى ذوي القربى والى البعداء والغرباء ويطيعون ذوي قرباهم وذوي الامر فيهم اطاعة يحمل عليها خير القبيلة في رأيهم . وكان لهم صفات شخصية وعادات اجتماعية حميدة كالشجاعة والنجدة والدفاع عن العرض وعن القبيلة والكرم والضيافة والصدق والوفاء بالعهود وحب الخير مما يرافق الحياة الفطرية في الاغلب ، الا انه كان في العرب اشد بروزاً واثبت قواعد . وكل ما مر بك من السيئات والحسنات قد ظهر في الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي هو مجموع ما وصل الينا من شعر العرب الذي قيل قبل الدعوة الاسلامية (٦١٠م) ومجموع ما قاله الشعراء الذين لم يدخلوا في الاسلام الى وفاة الرسول (١١هـ ، ٦٣٢م) كبعض شعر الاعشى مثلاً . اما ما نظم بعد ذلك الى سقوط الدولة الاموية (١٣٢هـ ، ٧٥٠م) فهو اسلامي (يعني نظم في الاسلام) سواء اكان اصحابه مسلمين كحسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة ، او غير مسلمين كالربيع بن ابي الحقيق اليهودي او الاخطل النصراني .

١ . نشأته - الشعر العربي قديم النشأة ، واذا كان لم يصل الينا شعر اقدم من شعر عبيد بن الابرص والمهلل بن ربيعة وامرئ القيس بن حُجر وعمر بن قميئة ، فما ذلك الا لان كل شعر سابق لزمان من عددنا قد ضاع من افواه الرواة ، كشعر عروة بن حزام او شعر غيره من الذين لم تصل الينا اسماؤهم ايضاً . واذا نحن تأملنا شعر امرئ القيس مثلاً الفيناه شعراً قد بلغ من التطور ، في التفكير وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والآراء وفي الاوزان والقوافي ، مبلغاً يدل بلا ريب على ان هذا الشعر لم يبلغ الى ما بلغ اليه الا بعد ان مر في ادوار كثر طوال لانبالغ

إذا قلنا انها الفاسنة على الاقل : ان شعر امرئ القيس ليس بدء الشعر العربي ، ولكنه - من حيث التركيب اللغوي والنحوي - قمة تطوره .

ويبدو ان العرب اتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن خيالهم ووجدانهم قبل ان يجعلوا النثر « اداة فنية » لتبيان آرائهم ووصف اوجه حضارتهم .

٢ . اسواقه ومواسمه - واتسع نطاق الشعر فلم يبق مقتصرأ على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب ، بل شمل ذكر المفاخر ووصف المعارك وتعداد بعض الحوادث حتى سمي بحق « ديوان العرب » اي سجل تاريخهم . من اجل ذلك اقتضي ان ينشد في المجتمعات وفي الحفل الغفير فأخذ الشعراء يؤمون الاسواق المحلية الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه او يدل على براعة نفسه ، مع العلم بان هذه الاسواق كانت في الاصل للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية او ادبية ، لاجتماع الناس فيها . وربما طلب احدهم في احد هذه المواسم غريباً او عرض فيها سيفاً او فرساً كريماً للبيع ، او امها لبحث عن امرأة يخطبها ، او ليشهد على عتق عبد يملكه .

اما الاسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حي له سوق اسبوعي او شهري قاصر على اهل الحي ومن جاورهم في الاغلب . اما الاسواق الكبرى فكانت اقل عدداً واطول امدأ ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادها اطول ، هو في الاغلب عام واحد . واما اشهر هذه لاسواق - او المواسم - فثلاث : ذو الحجاز قرب ينبع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو الحجة (بفتح الميم او كسرهما) قرب مكة ، ثم عكاظ وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة ، وكانت تبدأ مع هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاطون اي يتفخرون ويتناشدون .

٣ . المعلقة - ومع الايام زاد في الحياة الادبية وجه جديد ، ذاك ان الشعراء كانوا يتبارون في سوق عكاظ امام احد فحول الشعر - وقد ذكروا من هؤلاء النابغة - فمن حكم له انداده اختيرت قصيدته و « علقّت » : قيل اعتبروها علقأ اي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدران الكعبة ، وقيل

بل علقوها بالذهن اي حفظوها عن ظهر قلب .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقة فمن مقل ومن أكثر ، الا ان جمهور الرواة يجعلها ثنائي ، هي ، حسب ما اختاره ابو زيد القرشي ، لامرؤ القيس (الكندي) وزهير بن ابي سلمى (المزي) والنابعة (الذبياني) والاعشى (القيسي) وليبد بن ربيعة (العامري) وعمرو بن كلثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها معلقة الحارث بن حليم (البكري) وعبيد بن الابرص (الاسدي) .

ويلاحظ ان هذه المعلقة موزعة بين القبائل بشيء من الانصاف . ويبدو لنا ان اختيار المعلقة في سوق عكاظ كان تابعاً لنفوذ القبيلة السياسي - في الزمن الذي اختيرت فيه - اكثر من تعلقه بمقدرة الشاعر الفنية .

٤ - مقام الشاعر الجاهلي - : قال ابن رشيق : « كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ^٢ كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشرون الرجال والولدان ، لانه (اي الشاعر) حماية لاعراضهم وذبح عن احسابهم واشادة بذكورهم . وكانوا لا يهتأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج ... »

خصائص الشعر الجاهلي :

كانت البادية بيئة الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية ، يدور حول الجمل والظلل . ومع انه قد نبغ في المدن شعراء ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من اهل الوبر (سكان الحيام = البدو) ، ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر ان نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها الا قليلا من الوان الحضرة عرضت في شعر شعراء ذهبوا الى بلاطات فارس والعراق والشام كالاعشى والنابعة مثلاً . فمن تلك الخصائص :

(١) - العمدة ١ : ٩٤

(٢) المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

اولا - اخصائص المعنوية :

(أ) الصدق = الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة بما يختلج في نفسه ، والا يتكلف في ايراده ، بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكروها قد وقعت او لم تقع او كان مبالغاً فيها . ان الابيات التي تصف « دائرة جُلجل » في معلقة امرئ القيس « صادقة » تعبر عن نفس امرئ القيس وعما يتمناه امرؤ القيس في لهوه ، مع ان الحادثة نفسها قد تكون مختلفة او مبالغاً فيها . وهذا التعليل يصدق على الفخر الجاهلي والوصف والهجاء والحكمة . فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملاًنا البر حتي ضاق عنا ، وماء البحر غملاًه سفينا
صحيحاً (ونحن نعلم انه غير صحيح) . ولكن المهم ان عمرأ كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوجدانية - والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الاولى ، يصف نفس قائله وشعوره . حتى ان الشاعر القديم كان اذا عرض « لبحث موضوعي واقعي » ، كوصف الصيد والحرب او كالحكمة والرثاء ، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً . قال زهير :

ألا أبلغ الاحلاف « عني » رسالة وذبيان : هل اقسمت كل مقسم ؟
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم .
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المُرْجَم !
ولذلك كان الشعر الجاهلي شعر انشاد (غنائياً) يلقيه الشاعر على لحن الربابة . ولا تزال نحن الى اليوم نقول « أنشد الشعر » اي القاه في حفْل من الناس .

(ج) البساطة - ان الحياة الفطرية والبدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئة الجاهلية ؛ وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخييل والتعليل ولا التعقيد والمعاصرة في ما شعر به . واذا كنا نرى عند الشاعر الجاهلي شيئاً من المبالغة فلأن حياة الفروسية وضرورة اعتماد الفرد على نفسه تبعثان الزهو في الفرد ، ولم يشذ الجاهلي عن هذه القاعدة . قال عنتره :

اذ يتقون بي الائمة لم اخم عنها ، ولكني تصايق مقدمي
فجعل جميع قومه الذين يحاربون في المعركة يحتمون به ويتدارون بظهره .
على ان الطبع والسجية والبساطة والصدق ايضاً تتمثل كلها في قول عنتره
يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي .
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسما
(د) القول الجامع - كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه «شعر وجداني» ،
من اجل ذلك كان معبراً والآراء المفردة اكثر منه معالجة مستفيضة لشؤون
الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً الى استجماع القول حتى كان
البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك .
فاذا راجعت ابيات زهير التي استشهدنا بها على « النزعة الوجدانية » تبين لك انها
تضم سبع معانٍ او سبع جمل تامة المعاني . وحسبك من ذلك انهم أعجبوا بقول
امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحو مل
وقالوا : انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
بيت واحد !

وهكذا ترى ان الشاعر القديم لم يكن يحمل معنى من بيت الى البيت الذي
يليه الا في النادر . اما استمرار التركيب الواحد من بيت الى بيت فقد كان من
عيوب الشعر . وهكذا كان بالامكان ان تتبدل بعض مراكز الابيات في القصيدة

من غير ان يتبدل المعنى الاساسي فيها كما ترى في حكم زهير مثلاً .

(هـ) الاطالة والاستطراد - وكان 'يحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون' طویل النفس « اي ان يطيل القصائد . فاذا ذكرنا انه كان ميالاً الى ذكر الآراء المفردة والقول الجامع ، لم نستغرب ان يخرج احیاناً عن الموضوع الاساسي الى موضوعات تتعلق به من قرب او من بعد ، وهذا يُسمى الاستطراد . وربما استطرد الشاعر الى موضوع ثم عاد الى ما كان في الكلام عليه ، وربما استطرد فلم يعد . وقد أثر عن الجاهلية مقطعات قيل إن أكثرها كان في الاصل قصائد طوالاً ثم نسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل الى اطالة القصائد .

(و) الخيال - واذا كان اتساع افق الصحراء قد ادى الى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الخيال كان فطرياً بسيطاً كبيئته ، ولعلك لا تستغرب اذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحضر كالاعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم اوسع واعمق وادق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابه والاستعارات اكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

وكذلك ذكر بعض المتأدبين ان خيال الجاهليين كان خشناً وان بعض معانيهم كانت نابية كبعض غزل امرئ القيس و كوصف الشنفرى لنفسه و كذكر القتال والثأر وبعض المديح والهجاء . ولكن يجب ان نذكر ان هذه الخشونة كانت صورة لبيئتهم ، وان كنا نحن اليوم نراها خشنة بالاضافة الى اين الحضارة الذي ألفناه . ان هذه الخشونة موجودة ولكن لها عذراً من بيئة الشاعر وشطف عيشه احياناً .

ثانياً - الخصائص اللفظية :

(أ) غرابة الالفاظ وجزالتها - اذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في اكثره على « كلمات غريبة » ، اي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب ان نشير الى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » اي

مأنوسة مألوفة ، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الابل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده . ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى اوجهها وادواتها وآلاتها - على ما ترى في وصف طريقة للناقة في معلقته . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رثال (النعام) وقد تكون وحشية او حوشية مستكرهة في اللفظ نحو بُعاق (مطر) .

وكان الشاعر الجاهلي حريصاً على ان يستعمل الكلمة « الجزلة » اي التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ اخر نحو « قلت » (بكسر القاف) ومعناها « نمت بعد الظهر » . فكلمة قلت في هذا الموضع جزلة ، اما كلمة نمت في هذا الموضع فليست جزلة لانها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا بعد ان زدنا عليها كلمتين أخريين .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء - والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، اي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله او تأخير لفظه الى غير مكانها الذي تقتضيه اساليب العرب ، او زيادة حشو لا فائدة فيه او حذف لغير سبب نحوي .

وكذلك تراكيبه بليغة ، اي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة إما حقيقةً واما مجازاً بتشابه واستعارات وكنيات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة او لحن عامي . وقد تجدد في الشعر الجاهلي بضعة الفاظ من الجنس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وانما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرهما لم يفتن اليها .

(ج) العناية والتنقيح - وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه ، فانه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه الى الناس كما يخطر له ويدور في خياله .

الا ان هنالك نفرأ كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الادب « عبيد الشعر » لانهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) ويشغولون به

حواسهم وخواطرهم . وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والخطبة وطفيلاً الغنوي ، واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » أي التي كان يقضى حوالاً (عاماً) كاملاً في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النقدة .

اغراض الشعر وفنونه :

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عَرَضاً في قصيدته ، وهي عادة « امور ممهدة » للفن (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كانت الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

١ - وصف الاطلال - يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد اهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه ، فيقف على طلكل الحيمة (المكان الذي كانت الحيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ - وصف الراحلة - وكذلك يصف الشاعر الراحلة او المطية (الناقة او الفرس) التي يركبها للوصول الى الحبيبة او الى المدوح ...

٣ - وصف الصيد - وتصيد الجاهلي لسبيين : اما طلبا للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب ، او طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس ، او لانه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون الى الصيد كالنابغة .

٤ - وصف الطبيعة - ويصف الشاعر عادة ما يراه في اثناء رحلته من صحراء او اودية او مطر او رياح او نهر او مطر . واشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس .

٥ - الحماسة - وهي وصف المعارك والفخر بالنفس او بالاسلاف .

٦ - الادب والحكمة .

والشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الاغراض ويمر بها مرآخفيفاً . الا انه يتكئ على غرض واحد منها في الاكثر او على غرضين يجعل منها الموضوع الاساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل والفخر عند عنترة ، او كالغزل والوصف عند امرئ القيس او كالاغراض عند النابغة .

فنون الجاهلية :

الفن « موضوع » مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع ، وقد يَقْصُرُ عليه القصيدة كلها أو أكثرها ، وبكلمة أوضح : ان الغرض اذا تطور واتسع اصبحت فناً . فالغزل مثلاً « غرض » اذا كان في ابیات قلائل ، وفي مطلع قصيدة في المديح مثلاً ، ولكنه « فن » اذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة او شبه تامة ، وقد نسميه ايضاً باباً من ابواب الشعر . اما الفنون الجاهلية او ابواب الشعر الجاهلي فاشعرها وبرزها التي تلي :

١ - باب الادب والحكم والامثال

الادب ويسمى الحكمة ايضاً ، هو ذكر آراء صائبة في الحياة والموت والظلم واللهو والصدقة والاخلاق الحميدة والسعي وما اليها . وقل ان نجد شاعراً لم يرد في شعره شيء من الادب . على ان الادب في الشعر الجاهلي قليل بالاضافة الى ما عرفنا منه في الاسلام ، وخصوصاً في العهد العباسي .

(أ) الحكم المفردة :

اكثر ما ترد الحكم في الجاهلية مفردة : يرد في القصيدة البيت بعد البيت ، وترد ابيات الحكمة متفرقة ، قل ان يجمعها سلك واحد . فمن الاقوال الحكيمية المشهورة في الشعر الجاهلي قول ذي الاصبع العدواني :

كل امرئ راجع يوماً لشيئته وان تخلّق اخلاقاً الى حين
ومثله في الشهرة واصابة القول ابيات الافوه الأودي :

البيت لا يُبْتَنَى الا له عمدٌ ولا عِمَاد اذا لم تُرسِ اوتاد .
فان تجمّع اوتاد واعمدة يوماً فقد بلغوا الامر الذي كادوا .
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهلهم سادوا .
تهدى الامور باهل الرأي ماصلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد .

أ ، ب - طرفة وزهير

ومع ان طرفة بن العبد وزهير بن ابي سُلمى اشهر حكماء الجاهلية فان الحكمة ترد في شعرهما ابياتاً مفردة وان كانت متعاقبة (اي يلي بعضها بعضاً) ، وذلك لان كل بيت منها - وخصوصاً عند زهير - يتضمن معنى قائماً بنفسه ، ضعيف الصلة بما قبله وبما بعده في الاغلب . على ان الذي نلاحظه ان حكم زهير مجموعة من طريق الحياة الطويلة - لان زهيراً عاش دهرأ طويلاً - فهي تمثل اختبار الشعوب وتنكشف عن نضج اكتشاف زهير من عمره الطويل ، كقوله مثلاً :

سُئِمَتْ تَكَالِيفُ الْحَيَاةِ ، وَمِنْ يَعْشُرْ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَاكَ - يَسَامِ .
رَأَيْتَ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءُ ، مِنْ تُصَبِّ ثَمَّتْهُ ، وَمِنْ تُنْطَى يُعَمَّرُ فِيهِمْ .
أَمَّا حَكْمُ طَرَفَةٍ فَهِيَ حَكْمُ شَخْصِيَّةٍ عَرَفَهَا طَرَفَةٌ مِنْ ظَلَمِ أَهْلُهُ لَهَا فِيهِ اخْتِبَارُ
شَخْصِي كَقَوْلِهِ :

وِظْلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مِضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقَعِ الْخَسَامِ الْمَهْنَدِ .
وَأَرَاءُ طَرَفَةٍ أَلْصَقَ بِالْحِكْمَةِ مِنْ آرَاءِ زَهِيرٍ وَأَعْظَمَ قِيَمَةً ، وَسِيرِدَ الْكَلَامِ عَلَى
ذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى طَرَفَةٍ وَزَهِيرٍ .

ج - لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِي

وُلِدَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِي نَحْوَ عَامِ ٥٦٠ م ، وَقَالَ الشَّعْرُ فِي صَبَاهُ وَدَخَلَ فِي
الْمُهَاجَاةِ بَيْنَ شُعْرَاءِ قَوْمِهِ . وَقَدْ أَوْفَدَهُ عَمُّهُ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ
لِيُدْرِسَ مَوْقِفَ الرَّسُولِ وَمَقَامَهُ فَعَرَفَ الْإِسْلَامَ وَشَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَأَثَرَ ذَلِكَ فِي
نَفْسِهِ كَثِيرًا .

وَلَمَّا مَاتَ عَمُّهُ وَفَدَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى الرَّسُولِ وَاسْلَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ . وَفِي
أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ سَكَنَ لَبِيدُ الْكُوفَةَ .

وَلَبِيدُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ ، لَهُ مَعْلَقَةٌ مَطْلَعُهَا :

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمَنْىَ تَأْبُدُ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا .

وَشَعْرُ لَبِيدَ مَتْنِ التَّرَكِيبِ فَخَمَ تَكَثُّرُ فِيهِ الْحِكْمَةُ . وَمِنْ خِصَائِصِ لَبِيدَ أَنَّهُ
يَجِيدُ الرِّثَاءَ .

وَتَوَفَّى لَبِيدُ نَحْوَ سَنَةِ ٤١ هـ لِلْهَجْرَةِ (٦٦٢ م) فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتَنِي أَجْلِي حَتَّى أَكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالًا

فَمِنْ حَكْمِ لَبِيدَ فِي مَعْلَقَتِهِ :

مفاوِطُغُ لِبَانَةٍ مِنْ تَعْرِضُ وَصَلُهُ ،
وَأَحَبُّ الْمَجَامِلَ بِالْجَزْبِلِ وَصُرْمُهُ
وَأَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكَ فَإِنَّمَا
وَمِنْ قَصَائِدِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْحُكْمِ قَوْلُهُ :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحَاوِلُ :
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ ،
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا أَخْلَا اللَّهُ بَاطِلُ
وَكُلُّ أَتَّاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ غَيْبُهُ
إِذَا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ
فَقُولَا لَهُ إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ :
فَتَعْلَمُ إِنْ لَا أَنْتَ مَدْرَكَ مَا مَضَى

وَأَشْرُ وَأَصْلُ خُلَّةٍ صَرَئُهَا (١) .
بَاقٍ إِذَا ظَلَمْتَ وَزَاغَ قَوَامُهَا (٢) .
قَسَمَ الْخَلَائِقُ بَيْنَنَا عَلَامُهَا (٣) .

أَنْحَبُ فَيَقْضِي أَمْضَالَ وَبَاطِلُ (٤) ؟
بَلَى ، كُلُّ ذِي لَبٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلُ (٥) .
وَكُلُّ نَعِيمٍ (٦) لَا مَحَالَةَ زَائِلُ .
دَوِيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْإِنَامِلُ (٧) .
إِذَا شَفِيتَ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَوَاصِلُ (٨) .
قَضَى عَامِلًا ، وَالْمَرْءُ مَا دَامَ عَامِلُ (٩) .
أَلَمْ يَعْظُكَ الدَّهْرُ ؟ أَمْ كُ هَابِلُ (١٠) .
وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وَأَنْثَلُ (١١) .

(١) أقطع صلتك بمن تعلم ان صداقته ستتغير اذا قال حاجته منك . ان اسوأ الاصدقاء هم الذين يفعلون ذلك - الصرم : القطع . (٢) واحسن الى الذي يجاملك وبصانمك ولا يقطع مودتك وان كنت تعلم انه لا يحبك كثيراً . ظلع : مرج . زاغ : مال . (٣) المليك والعلام من اسماء الله الحسنى . الخلائق : الطباع . (٤) ماذا يحاول الانسان ان يفعل في حياته : يجب ان له غاية يسعى الى تحقيقها ام ان الحياة امر باطل لا غايه له ؟ (٥) اكثر الناس لا يعرفون ماذا يراد بهم ، ولكن ذوي الالباب يقصدون الله باعمالهم ويهلون انهم واصلون اليه . (٦) كل نعم دنيوي . (٧) دويبية تصغير داهية للتعظيم اي مصيبة عظيمة . اصفرت الانامل : يبست الاصابع دلالة على الموت . الموت سيأتي على جميع الناس . (٨) اذا كشفت السرائر يوم القيامة . (٩) اذا سافر الانسان ليلة ظن نفسه قد تعب كثيراً وعليه الآن ان يرتاح ، مع ان حياة الانسان عمل متواصل . (١٠ و ١١) قولاً لله ان كان يفكر لم تعتبر بحوادث الدهر ؟ ثمكنت امك ! لا انت قادر على ان تعود الى شبابك ولا بان تنجو مما تحذره نفسك « من الموت » .

فان انت لم ينفعك علمك فانتسب لعلمك تهديك القرون الاوائل^(١).
وان لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدٍ فلتزعك العواذل^(٢).

د - عدي بن زيد

ولد عدي بن زيد في الحيرة بالعراق ، وفيها نشأ وتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية . وكانت اسرة عدي مقربة في البلاط الفارسي لخدماتها التي كانت تؤديها للفرس في بلاط المناذرة في الحيرة . وكان زيد والد عدي يلي بعض اقسام البريد لكسرى انوشروان . وكذلك كان عدي نفسه كاتباً في ديوان كسرى .

وارسل كسرى انوشروان نحو عام ٥٧٩م عدي بن زيد رسولا الى طيباريوس الثاني ملك الروم البيزنطي . (٥٧٨ - ٥٨٢) ويبدو ان عدي بن زيد زار في اثناء رجوعه من القسطنطينية مدينة دمشق .

وادرك النعمان الثالث ابو قابوس (٥٨٥ - ٦٠٧ م) ان اعمال عدي بن زيد هي في مصلحة الفرس اكثر مما هي في مصلحة العرب انفسهم ، بل اكثر مما هي في مصلحة المناذرة ، فحبسه ثم قتله في السجن نحو عام ٦٠٤م^(٣) . وكان مقتل عدي سببا من اسباب النفور بين الفرس والمناذرة ، بل كان سببا في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس .

ولم يكن عدي بن زيد من فحول الشعراء ، لانه كان قرويا (مدنيا) ، والتقدم في الشعر كان دائما لاهل البادية . اما شعره فهو سهل المعاني غير متين التركيب ، واكثره يدور حول الزهد في امر الدنيا والتزهيد فيها . وله شيء في الحمز احسن اسلوباً وارق ديباجة من شعره في الزهد . اما شعره في الزهد فمنه :

(١) اذا انت لم تستطع من تلقاء نفسك ان تعتبر بالدهر (تعلم ان جميع الناس يموتون) فانتسب (حاول ان تعد آباءك واجدادك) ثم انظر هل بقي احد من اسلافك حياً . (٢) فان لم تجد بينك وبين معد وعدنان احداً حياً فارعو عن غيبك وابقن ان جميع الاحياء سيموتون كما ان جميع الاموات كانوا احياء . (٣) جمع التواريخ المتعلقة بالمناذرة مضطربة ولذلك تذكر هذه التواريخ من باب التخمين فقط .

ابن اهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثود ؟
 بينما هم على الاسرة والاناط افضت الى التراب الجلود .
 والاطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سعوطهم والدود (١) .
 وصحيح اضحى يعود مريضاً وهو ادنى للموت ممن يعود .
 ولعدي بن زيد قصيدة طويلة في الحكم اختارها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار
 العرب في باب المجهرات ، مطلعها :

أتعرف رسم الدار من ام مَعْبِد ؟ نعم ، ورمالك الشوق قبل التجلد .
 جاء فيها :

أعاذل ، ان الجهل من لذة الفتي وان المنايا للرجال بمرصد .
 أعاذل ، ما ادنى الرشاد من الفتي وابعد منه اذا لم يُسَدِّد !
 أعاذل ، من تكتب له النار يلقيها كفاحاً ومن يكتب له الفوز يسعد .
 أعاذل ، ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد ؟
 كفى زاجراً للمرء ايام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي !
 وله من قصيدة :

انيس شي ، على المنون بباقي غير وجه المسبح الخلاق .
 اذ نكن آمنين فاجأنا شر مصيب ذا الود والاشفاق .
 ومر عدي بن زيد مع النعمان على بعض المقابر ، فقال له : اتدري ما تقول هذه
 القبور ؟ فقال النعمان : لا . قال عدي انها تقول :

(١) ان العلاج الذي يصفه الاطباء للمرضى ، السعوط لتتشق بالانف والدود للفم ، لا ينبغي
 الاطباء انفسهم من الموت .

من رآنا فليحدث نفسه انه اوفى على قرن^(١) زوال .
 وصروف الدهر لا يبقى لها - ولما تأتي به - ضم الجبال^(٢) .
 رب قوم قد اناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
 ثم اضحوا عصف الدهر بهم ؟ وكذلك الدهر يودي^(٣) بالرجال .
 ومن قصائد عدي بن زيد المشهورة قوله :

ايها الشامت المعير بالدهر ر ، اأنت المبرأ الموفور^(٤) ؟
 ام لديك العهد الوثيق من الـ ايام ؟ بل انت جاهل مغرور .
 من رأيت المنون خلدن ام من ذا عليه من ان يضام خفير^(٥) ؟
 اين كسرى كسرى الملوك انوشر وان ؟ ام اين قبله سابور ؟
 وبنو الاصفر^(٦) الكرام ملوك الـ روم ، لم يبق منهم مذكور .
 واخو الحضرة اذ بناه واذا دج لة^(٧) تجبى اليه والخابور^(٨) .
 شاده مرمرأ وجلله كل ساء فللطير في ذراه وكور^(٩) .
 لم يهبه ريب المنون فباد الـ حملك عنه فبابه مهجور .
 وتذكر رب الخورنق^(٩) اذ أش رف يوماً وللهدي تفكير .
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير^(١٠) .

١ - قرن زوال : طرف حياته - انه سيموت : ٢ - حتى الجبال لا تغد : ٣ - يهلك .
 ٤ - المبرأ : الذي لا يصيبه المرض او الموت . الموفور : المحفوظ « لا يموت » . ٥ - المنون .
 الموت . خلدن . تركن حيا . من ان يضام خفير : من يحمله من الضيم والذل وتقلب الايام . ٦ - ملوك
 الروم . ٧ - الحضرة : قصر . دجلة والخابور : يجبى اليه خراج نهري الخابور ودجلة . ٨ - عال جد
 ٩ - الخورنق قصر . ١٠ - البحر معرضاً . يظهر النهر امامه واسعاً . السدير قصر .

فأرعى قلبه فقال : وما غبه طة حي الى المات يصير^(١) ؟
ثم بعد الفلاح والمملك والإامة^(٢) وارثهم هناك القبور ،
ثم صاروا كأنهم ورق ج ف فألوت به الصبا والدبور^(٣) !

ب - الامثال :

الامثال قصص تنطوي على مغزى اخلاقي ، وهي نادرة في الشعر الجاهلي . وقد ورد في شعر النابغة قصة « الرجل والحية » ، وهي مذكورة في مكانها عند النابغة من هذه الدراسة .

(١) ومع ذلك فقد اعتبر وعلم ان الحياة لا قيمة لها ما دام مصير الانسان الى الموت .

(٢) النعمة . (٣) الصبا والدبور . ربح الشرق وربح الجنوب . الوى به : اهلكه .

٢ - المديح والاعتذار

المديح قليل جداً في الشعر الجاهلي وخصوصاً في شعر الشعراء البدو، وهو مفقود عند عنترة مثلاً ونادر عند طرفة ، ذلك لان نفس البدوي تأبى التكسب لان في التكسب من الآخرين تذلل لا يرضاه البدوي نفسه .

اما المديح الذي نجده عند امرئ القيس مثلاً فهو في الحقيقة شكر لان امرأ القيس لم يقله تكسباً ، وانما قاله لان قوما نصروه واعانوه فاراد ان يكافئهم على صنيعهم نحوه فشكرهم في شعر قاله فيهم . وكذلك مدائح زهير بن ابي سلمى في الحارث بن عوف وهرم بن سنان خاصة فانها من هذا الباب . ان الحارث وهرماً سعيهما في الصلح بين عبس وذبيان ثم دفعا ديات القتلى من مالهما الخاص ، فوقفت حرب داحس والغبراء بعد ان دامت اربعين سنة . وهكذا قال زهير مدائحه في هذين « السيدين العظيمين » اعجاباً بعملهما وكرمهما . ثم انه كان يرفض ان يتناول منهما نوالاً على هذه المدائح .

على ان الاعشى والنابغة ثم الخطيئة وحسان بن ثابت كانوا من الشعراء المتكسبين بالشعر . ولقد اخترع النابغة في الشعر العربي باب الاعتذار وهو شدة التذلل في المديح حباً بالتكسب . والكلام على مديح امرئ القيس والنابغة وزهير مبسوط في مكانه من هذه الدراسة .

٣ - الفخر والحماسة (والملاحم)

الفخر هو التمدح بالحُصَال (الحميدة) ، او ان يمدح الشاعر نفسه واسلافه بالاعمال الحميدة . والحماسة في الاصل هي الشجاعة . اما في الشعر فالحماسة هي الابيات التي يرد فيها ذكر القتال .

غير اننا اذا رجعنا الى ديوان الحماسة لابي تمام ودرسنا « باب الحماسة » ، وهو اول فصول هذه المجموعة الشعرية والذي به سمي الكتاب كله « ديوان الحماسة » ، رأينا انه اوسع مدى ، وانه غير قاصر فقط على المقطعات التي فيها ذكر القتال . ان فيه ابياتا في القتال وفي الموت وفي الغزل وفي الحكمة وفي الهجاء . ولكن اذا أنعمنا النظر في الابيات التي ادخلها ابو تمام في « باب الحماسة » ادر كنا انها تتضمن المعاني التي تدل على « الصبر على الحوادث والتجملد للايام » . من ذلك مثلاً ان اعرابياً اصاب ابن اخ له خطأ فقتله ، فوقف والد المقتول بين امرين : اما ان يصبر على فقد ابنه ، او ان يأخذ بثأره من اخيه ، وكلاهما شديد عليه . حينئذ تجملد وقال (١ : ٧٣) :

اقول للنفس تأساءً وتعزية : احدى يدي اصابتنني ولم تُرد .

كلاهما خلف من فتد صاحبه ، هذا اخي حين ادعود وذا ولدي .

ومثل ذلك قول شاعر يدعو الى التجملد والصبر على مفارقة الاهل والاطوان في سبيل العيش في نعمة ورغد ، قال (١ : ١٠٤-١٠٥) :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس الى اهل وأوطان .

تلقى بكل بلاد ان حالت بها اهلاً باهلاً وجيراناً يحيران !

وعلى التبريزي - شارح ديوان الحماسة على ذلك بقوله : « وضع ابو تمام هذين البيتين في باب الحماسة لانها صادران عن قسوة شديدة وعدم مبالاة بما يذأ عن التحول عن الالف وترك الصديق والعشير ، لان ترك الوطن والاخلال بالعشيرة ربما ادى الى التخاذل والتقاتل ، فالصبر عليه كالصبر على القتال » .

وإذا نحن تأملنا الابيات التي ادخلها ابو تمام في باب الحماسة ، سواء أ كانت في الحرب ام في الغزل ام في الهجاء ام في الادب ام في الفخر ، رأينا انها تنطوي ايضاً على تجلد وصبر وشدة وصلابة نفس . ولعل ابيات ابراهيم بن كُنيف النبّهاني تمثل ذلك احسن تمثيل (١ : ٩٥-٩٦) .

تعرّ فان الصبر بالحر اجمل ، وليس على ريب الزمان مؤول^(١) .
فلو كان يُغني ان يرى المرء جازعاً ، حادثه او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ، ونازلة بالحر اولى واجمل^(٢) .
فكيف وكل ليس يعدو حمامه^(٣) ، وما لامرئ ، عما قضى الله مزحل .
فان كانت الايام فينا تبدلت ، بنعمى وبؤسى^(٤) والحوادث تفعل
فما ليّنت منا قناة صليبة ، ولا ذللتنا للتي ليس تجمل^(٥) .
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ، تحمّل ما لا يُستطاع فتحمل^(٦) .
وقيّنا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الاعراض والناس هزل^(٧) .
فالحماسة اذن هي الشعر الذي فيه تجلد وصبر وصلابة نفس ، في اي
فن من فنون الشعر كان . ولكن بما ان التجلد والصبر وصلابة النفوس
تكون عادة في الحرب والمصائب فالحماسة تتناول الفخر والقتال في الاكثر
كقول عنترة :

(١) لا يمكن ان نعتمد على الزمان ونركن اليه [تأمن غدره] . (٢) لو كان الحزن يفيد عند المصائب لكان خليقاً بالانسان ان يحزن . (٣) موته . (٤) تعاقبت بالخير والشر ، مرة بعد مرة . (٥) المصائب لم تضعف نفوسنا ولم تذللنا فنفعل اشياء لا تليق بنا [من الحزن والخوف من الآخرين مثلاً] . (٦) يشبه النفوس هنا بالمطايا [بالنياق] فيقول : سقناها سواقشريفاً وحملناها اشياء كثيرة ثقيلة فحملتها . (٧) وفيها : حافظنا بصبرنا على عزة نفوسنا فسلمت اعراضنا من العار بينما سائر الناس ناحلون مهزولون لم يستطيعوا تحمل المصائب مثلنا .

بكرت تخوفني الخوف كأنني أصبحت عن غرض الخوف بمعزل^(١) .
 فأجبتها : ان المنية منهل لا بد ان أسقى بكأس المنهل .
 فأقني حياك^(٢) - لا اباك - واعلمي
 اني امرؤ سأموت ان لم أقتل .
 اني امرؤ من خير عبس منصبا شطري ، واحمي سائري بالمصل .
 واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت أفيت خيراً من معم مخول^(٤) .
 والخيـل تعلم والفوارس اني فرقت جمعهم بضربة فيصل^(٥) ،
 والخيـل ساهمة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الخنظل^(٦) .
 ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى انال به كريم المأكل^(٧) .

* *

الملاحم خاصة :

الملحمة هي المعركة العظيمة التي يكثر فيها القتل ، وجمعها ملاحم . والملاحم

(١) جاءت الي باكرأ غذرني بان لا اذهب الى القتال حتى لا ألقى حتفي [موتي] ، كأنني اذا اطعت امرها فلم اذهب الى الحرب لا يصل الي الموت - الغرض : الهدف ، معزل : منجى .
 (٢) احتفظي بوفارك . (٣) منصبا : مقاما . شطري : نصفي [نسي من اني] من بني عبس ، وهو جزء شريف يحترمني الناس بسببه . واما نصفي الآخر ، الذي هو من امي والذي يعيرني الناس به . لان امه كانت جارية حبشية سوداء . فاننا اداقع عنه بالسيف ، بشجاعتي ، فيصبح شريفا كني من اني . - شطري : مبتداً . (٤) الكتيبة : جماعة المحاربين . احجم : تأخر ، خوفاً وجبناً او لكثرة عدد العدو . تلاحظت : جعل بعض المحاربين يلاحظ بعضهم الآخر ويستحث كل انسان غيره على القتال . - في هذه الحال احجم انا واكون ، وانا الذي امي عبدة حبشية سوداء ، خيراً من الذين ينتمون الى الانساب الكريمة من جهة امهم وابيهم معا . (٥) الفصل : السيف . (٦) سأم : غابس . الخنظل : نبات مر . (٧) ابيت على الطوى : اقضي الليل جائعاً . اظله : استمر طول النهار جائعاً ايضا .

ايضاً « تاريخ الدول » نظماً أو نثراً ، قال ابن خلدون (١) : « ثم كتب الناس من بعد ذلك في حَدَثان الدول منظوماً ومنثوراً ورجزاً ... وبايدي الناس كثير منها وتسمى الملاحم ، وبعضها في حَدَثان الملة على العموم ، وبعضها في دولة دولة على الخصوص ... فمن الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مُرَّانة ... وذكر فيها استيلاء دولة لمتونة على سبتة من يد موالي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس . ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضاً قصيدة تُسمى الُتْبَعِيَّة ... قريباً من خمسمائة بيت او الف . وعلى هذا يمكن ان نعد كثيراً من ادب العرب في الملاحم كالمعلقات وقصة عنترة وسواها كقصة رأس الغول وسيف بن ذي يزن . على ان بعض المعلقات اقرب الى ان تسمى ملاحم من بعضها الآخر . فمعلقة عنترة ومعلقة عمرو ابن كلثوم على الاخص اجدر بهذا الاسم من معلقة امرئ القيس مثلاً .

ويحسن ان نوازن هنا بين الملاحم عند العرب والملاحم عند الافرنج . تعرف الملحمة في اللغة اليونانية باسم « ابوس » ، ومعنى الكلمة لغوياً « قصة » ، الا ان لفظة « أبوس » كانت تطلق على الشعر القصصي اذا كان شريف المعاني متين التركيب ، وكثيراً ما كان في هذا النوع من الشعر مغامرات و قتال . والملاحم عند اليونان كانت تدور حول بطولة الافراد كما كانت تدور حول الحروب العامة وحول الحُرَافَات الدينية ايضاً ، وقد كان لها فوق ذلك مغزى تهذيبي . واشهر الملاحم اليونانية إلياذة هوميروس بلاريب . ومع ان إلياذة هوميروس هي اقدم ما وصل الينا من الادب اليوناني فانها ليست اقدم الادب اليوناني . ان قضية الالياذة ، من هذه الناحية ، كقضية المعلقات في الادب العربي .

فلنأخذ اذن من الملاحم العربية معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وشيئاً من شعر عنترة ، ثم قصه عنترة .

سبب المعلقتين :

كانت معلقة الحارث بن حلزة رداً على معلقة عمرو بن كلثوم في حضرة ملك

الحيرة عمرو بن هند فيما قيل ، وذلك بعد ان اراد عمرو بن هند ان يصلح بين بكر وتغلب - قبيلتي الحارث بن حازة وعمرو بن كلثوم - بعد ان طالت العداوة بينهما من اثر حرب البسوس .

حرب البسوس :

كان وائل بن ربيعة المعروف باسم كليب وائل ، ملكاً على قومه ، وقد بلغ من السلطة والقوة حداً خرج به الى الاستبداد والظلم حتى كان يحمي مواقع المطر ، وذلك اذا نزل المطر بارض فسال عيناً او انبت عشباً جاء وائل فألقى كليباً (جرركاب) حيث نزل المطر فيعوي ذلك الكليب ، فلا يستطيع احد ان يستقي من مكان يُسمع فيه عواء الكليب او يرمى غنمه فيه إلا باذن من وائل . وكان لوائل (او لكليب وائل) زوجة لها اخوة اقدم اسمها جساس بن مرة الشيباني ترعى ابله وابل كليب معاً . فاتفق ان نزل يوماً بجساس هذا قوم من اقاربه ومعهم ناقة اسمها البسوس - وقيل بل البسوس اسم خالة جساس (١) - فرعت مع ابل جساس وابل كليب في مكان واحد . ورأى كليب الناقة فعرف انها غريبة ولم يدرك من هي فاطلق عليها سهماً فقتلها . فغضب اصحاب الناقة وعرضوا بجساس واتهموه بانه « لا يحمي جيرانه وضيوفه » (وكان ذلك عاراً عظيماً في الجاهلية) ، فثار جساس الى كليب فقتله . فنشبت من جراء ذلك حرب عرفت باسم حرب البسوس دامت العداوة فيها (لا المعارك) نحو اربعين سنة . وكان آخر من قتل فيها جساس نفسه ، نحو عام ٥٣٤ م .

الصلح بين بكر وتغلب :

ويظهر ان ملوك الحيرة ارادوا ان يصلحوا بين بكر وتغلب ، وقد حاول ذلك المنذر الثالث (٥٠٥ - ٥٥٤ م) المعروف بابن ماء السماء ، ثم حاول ذلك ايضاً ابنه عمرو بن هند (نحو ٥٥٤ - ٥٦٩ م) . وتحاجز الفريقان عن القتال ولكن لم تمت العداوة التي بينهما .

(١) راجع تاج العروس ٤ : ١٠٨ - ١٠٩

التحكيم والحكم لبكر على تغلب :

واراد البكريون والتغلبيون ان يضعوا حداً للنزاع بينها فاحتكموا في خلاف لهم جديد الى عمرو بن هند، فواعدهم عمرو بن هند يوماً يحتكمون فيه اليه . وفي اليوم الموعد حضر اشراف القبيلتين وفرسانهم . ونهض عمرو بن كلثوم سيد بني تغلب وشاعرهم فالقى معلقته ، او قسماً من معلقته ، بين يدي عمرو بن هند . ثم نهض الحارث بن حازة شاعر بني بكر والقى معلقته - قيل مرتجلاً . فيقال ان عمرو بن هند كان اكثر تأثراً بمعلقة الحارث فحكم لبني بكر على بني تغلب . والحق ان الحارث كان اكثر ليناً و « سياسة » في مخاطبة عمرو بن هند ، بينما كان عمرو ابن كلثوم اكثر فجراً بقومه ، شديد التعريض بعمر بن هند نفسه .

مقتل عمرو بن هند

ولم يرض بنو تغلب بحكم عمرو بن هند فانصرفوا غاضبين . واتفق مرة ان طلب عمرو بن هند من عمرو بن كلثوم ان يزوره ، في حديث طويل . فجاء عمرو بن كلثوم تصحبه امه ليلى ، فنزل هو على الملك عمرو بن هند ونزلت امه ليلى على هند ام الملك . فيقال ان هند ارادت ان تستخدم ليلى لإدلالا عليها (لانها هي ام ملك) ، وإذلالاً ليلي (لان ليلى كانت معترضة بنفسها وبابنها عمرو بن كلثوم كثيراً) فقالت لها : « ناوليني هذا الطبق » . فردت ليلى عليها قائلة : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » . ولكن هند اعادت القول على ليلى ، فغضبت ليلى وصرخت : « واذلاه ، يا لتغلب ! » فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار غضبه ، وعلم ان امه قد اهينت فهجم على عمرو بن هند وقتله .

عمرو بن كلثوم ومعلقته

عمرو بن كلثوم من الشعراء المقلين ، وليس من الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين ، فان ابن سلام عده في الطبقة السادسة مع الحارث بن حازة وعنترة وسويد بن ابي كاهل .

موجز ترجمته وخصائصه :

عمرو بن كلثوم من بني تغلب، وكانت تغلب تسكن في الجزيرة (شمالى سورية والعراق). وكان عمرو فارساً شجاعاً أبى النفس ساد قومه صغيراً، زعموا ابن خمس عشرة سنة. وعمرو بن كلثوم هو الذي قتل ملك الحيرة عمرو بن هند على ما مر بنا. وعاش عمرو بن كلثوم دهرأ طويلاً زعمه بعضهم مائة وخمسين سنة!

عمرو بن كلثوم شاعر مقل وصلنا من شعره معلقته وبضعة مقطعات في الحماسة. ويقال ان معلقته كانت طويلة جداً تبلغ نحو الف ومائة بيت؛ ولكن لم يصلنا الا عشرها. ويبدو ان معلقة عمرو بن كلثوم ترجع الى زمنين منفصلين: نظم بعضها قبل مقتل عمرو بن هند ونظم بعضها بعد مقتله.

والمعلقة هذه تدور على الحماسة: يفتخر فيها الشاعر بقومه ويكثر فيها من مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد والتهديد، ثم يذكر يوم خزازى (١) وهو معركة. وفي المعلقة شيء من وصف الجمر والغزل ومن الحكمة.

المختار من المعلقة :

ألا هـي بصحنك فاصبحينا - ولا تبقي خور الاندرينا (٢)،
مُشَمَّعةً كأن الحَصَّ فيها ، اذا ما الماء خالطها سخينا (٣).
ترى المَحْزَرَ الشَّحِيجَ اذا أُمِرَتْ عليه ، لـمـالـه فيها ، مُهِينَا (٤).
صَبَبْتُ الكَأْسَ عَنَّا ، أمْ عمرو ، وكان الكأس مجراها اليمينا (٥).
وما شر الثلاثة ، أمْ عمرو ، بصاحبك الذي لا تصبَحينا (٦).

(١) يوم خزازى معركة عظيمة بين نزار ، عرب الشمال ، وبين اليمن، عرب الجنوب ، كانت الغلبة فيها لنزار . (٢) هي : استيقظي ، او انهضي مطلقا . الصحن : القدح العظيم . اصبحنا : اسقنا الخمر صباحا . الاندرون من قرى الشام - لاندخري عناخر الاندريين ، الخمر الجيدة . (٣) مشعمة : ممزوجة بالماء . الحص : نبات له زهر اصفر او احمر . سخينا . حاراً . صبغنا اسخينا ، كرماء . (٤) المحز : الضيق الصدر . الشحج : البخل . اذا شرها البخل الضيق الصدر اصبح سمحاً كريماً . (٥) صبن : صرف - لما جاء دوري في الشرب لم تسقني . (٦) انا ، الذي لم تسقني لست شراً من الشخصين اللذين سبقتهما .

وكأس قد شربت بيملبك
واخرى في دمشق وقاصرينا .
وانا سوف تدركنا المنايا
مُقدرة لنا ومقدرينا (١) .
وان غداً وان اليوم رهن
وبعد غدٍ بما لا تعلمينا (٢) .
قفي قبل التفرق ، يا ظعينا ،
نخبرك اليقين وتخبرينا (٣) ،
بيوم كريمة ضرباً وطعنا
اقر به مواليك العيونا (٤) .

أبا هند فلا تعجل علينا
وانظرنا نخبرك اليقيننا (٥)
لانا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمراً قد رويننا (٦) .
وايام لنا عر طوال
عصينا الملك فيها ان نديننا (٧) .
ورثنا المجد قد علمت معد
نطاعن دونه حتى يديننا (٨) .
بسم من قنا الخطي لذن
ذوابل او ببيض يعتليننا (٩) ،
نشق بها رؤوس النوم شقاً
ونخليها الرقاب فتختليننا (١٠) .
كان حجاجم الابطال فيها
وسوق بالاماعز يرتقينا (١١) .

(١) الموت مكتوب علينا يأتي في وقته . (٢) سيأتيك اليوم وغد وبعد غد بحوادث لا تعلمينها
(٣) الظالمين : المرأة في اليهودج : هنا . الخبوبة . (٤) الكريمة : الحرب ، يكون الضرب بالسيف
والطعن بالرمح . مواليك : اعمامك . ظفرنا في هذا الحرب فسر قومك . (٥) ابا هند : ياعمر بن
هند . (٦) نأخذ راياتنا الى الحرب بيضا ثم نرجع بها حمراً من دم الاعداء . (٧) ايام : معارك .
عر : بيض نصرنا فيها ، طوال : مشهورة - حاربنا الملوك حتى لا نخضع لهم (٨) يبين : يظهر
حقنا في المجد (٩) برماح سرلينة جافة نضجت في منابتها . يعتلينا ، يرتفعن فوق رؤوس الاعداء .
(١٠) اختلى قطع بسهولة . (١١) وسق : حمل . اما عز ، جمع اممز : مكان فيه حجارة . بعد
المعركة كانت رؤوس الاعداء كأنها احمال حجارة ، او بطيخ ، ملقاة على الارض .

نَجَزَ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَ (١)
 كَأَن سَيُوفُنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقُ بَايَدِي لَاعِبِينَا (٢)
 كَأَن ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبُنَ بَارْجُوانٍ أَوْ طُلِينَا (٣)
 إِذَا مَا عِي بِالْأَسْنَفِ حَيٌّ مِنَ الْهَوْلِ الْمَشْبَهِ إِنْ يَكُونَا (٤)
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافَظَةً ، وَكُنَا السَّابِقِينَ (٥)
 بِشَبَابٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مَجْرَبِينَ
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرَوُ بْنُ هَنْدٍ ، نَكُونُ لَقَيْلَهُمْ فِيهَا قَطِينَا (٦)
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ ، تَطِيعُ بَنَى الْوِشَاةِ وَتَرْدَرِينَا (٧)
 تَهْدِدُنَا وَتَوَعِدُنَا ، رَوِيدًا ، مَتَى كُنَّا لَأَمِّكَ مُقْتَوِينَا (٨)
 فَانْقَاتَنَا ، يَا عَمْرُو ، أَعَيْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ إِنْ تَلِينَا (٩)
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازِي رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا (١٠)
 وَكُنَّا الْإِيمَانِينَ إِذِ التَّقِينَا وَكَانَ الْإِسْرِينَ بَنُو أَيْبِنَا
 فَصَالُوا صَوْلَةً فِي مَنْ يَلِيهِمْ (١١) وَصَلْنَا صَوْلَةً فِي مَنْ يَلِينَا

(١) بر : شفقة . كثر ضربنا لرؤوس الأعداء حتى ما كانوا يعلمون كيف يهربون من سيوفنا
 (٢) المخاريق (جمع مخراق « مرقعه ») : قطع من نسيج يجعل في رؤوسها عقد ثم يتضارب
 اللاعبون بها . - كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لو كنا نلعب بالمخاريق . (٣) أرجوان : صباغ
 أحمر . خضب : صبغ . طلى : دهن . (٤) عي : عجز . بالأسنف : بالاقوام . - إذا عجز
 المحاربون الأحياء أن يتقدموا [مشياً باقدامهم إلى الأمام] خوفاً من الخطر [لكثرة الأعداء مثلاً] .
 الرهوة : المكان المرتفع . - إذا تعذر علينا في الحرب أن نتقدم إلى قتال الأعداء رفعنا حاجزاً لنحمي
 أنفسنا ونحن دائماً سابقون . (٥) القيل : الملك أو الرئيس . القطعين : الخادم . (٦) ازدري : احتقر
 (٨) مقتوون : متخذون للخدمة (٩) نفوسنا لم تذل الملوك قبلك حتى تذل لك الآن (١٠) خزازى
 اسم جبل ومعركة من معارك العرب . غداة أوقد في خزازى : في اليوم التالي لمعركة خزازى -
 وكان العرب يوقدون على جبل خزازى نارا غداة الغارة . رقد : ساعد - ساعدنا (نزاراً على
 اليمن) أكثر مما يستطيع أحد غيرنا أن يساعد (في الحرب) (١١) صال : هجم . يلي : يقرب من .

فآبُوا بِالْهَبَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُنَبِّئْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ (١)
 إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ ، أَلَمْ تَعْلَمُوا مِنَّا الْيَقِينَ (٢) ؟
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابَ يَافِعٍ وَيَرْتَمِينَا (٣) ؟
 وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ الرُّوعِ جُرْدٌ عُرِفْنَا لَنَا نَقَائِدَ وَأُفْتُلَا (٤)
 وَرَثَانَهُنَّ عَنْ آبَاءٍ صَدَقَ وَنُورُثَهَا إِذَا مَتْنَا بَنِينَا
 وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ ، غَيْرَ فَخْرٍ ، إِذَا قَبَّ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا (٥)
 بَأْنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أَطْعَمْنَا وَإِنَّا الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِينَا (٦)
 وَأَنَا الْمُطْمَعُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أُبْتُلِينَا (٧)
 وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا إِرْدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
 وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا
 عَلَى آثَارِنَا بَيْضَ حَسَانٍ نَحَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهْوِنَا (٨) :
 ظَعَائِنُ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ خَلَطْنَا بِمَيْسَمٍ حَسْبَا وَدِينَا (٩)

(١) مصفدون : مقيدون بالأصفاد (٢) إليكم .. : ابتعدوا عنا ، اتركوا منافستنا ، ألم تعرفوا
 بعد قوتنا في الحرب ؟ (٣) ألم تعلمواكم من الكتاب طعنت أفرادها في حربنا ثم ارتقوا قتلى أو جرحى
 (٤) جرد جمع أجرد : حصان قليل الشعر ، أصيل . غداة الروع : صباح اليوم الذي نذهب فيه إلى
 الحرب . نقائد جمع نقيدة : منقذة . - إذا سقط أحد منا في المعركة حماه فرسه وانقذته كيلا يقع
 أسيراً في يد أعدائه . أفتلى : فطم ، قطع عن الرضاع (هذه الخيل ولدت عندنا وتربت عندنا) .
 (٥) القبة : الخيمة من جلد ، وتكون للملوك والرؤساء . الأبطح : الأرض المستوية . (٦) من أطاعنا
 عصمناه (دافعنا عنه وحميناه) ، ومن عصانا عرمناه عليه (قويتنا عليهم ، ظلّمناه ، قتلناه) . (٧)
 قدرنا : طبخنا (في القدر) . ابتلى : جرب - من جرب حربنا هلك . (٨) ببيض : نساء . نحاذر
 أن تقسم : نخاف أن يأمرهن الأعداء فيقسمن بين المتحاربين . تهون : تذلل ، يعتدى على أراضهن
 (٩) الظمينه : المرأة . ميسم : علامة (جمال ، حسن) - أضفنا إلى جمالهن شرف النسب والحسب .

أَخَذَنَ عَلَى فَوَارِسِهِمْ عَهْدًا إِذَا لَاقَوْا فَوَارِسَ مُعَلَمِينَا (١)
لَيْسَتَيْنِ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنَيْنَا (٢)
يَقْتَنُ جِيءَ ادْنَا وَيَقْلَن : لَسْتُمْ إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (٣)
إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ فَلَا بَقِيْنَا لَشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَيِّنَا
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أَيْنَا إِنْ نُقِرَ الذَّلُّ فِينَا (٤)
أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (٥)
أَلَا لَا يَحْسَبُ الْأَعْدَاءُ إِنْ تَضَعُضَعْنَا وَإِنَّا قَدْ وَنِينَا (٦)
كَانَا ، وَالسِّيَوفُ مَسَلَّلَاتٌ ، وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا (٧)
إِذَا بَلَغَ الْفَطَامُ لَنَا صَبِي تَحَرُّ لَه الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا
مَلَأْنَا الْبِرَ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلَاءَ سَفِينَا
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

ب - الْحَارِثُ بْنُ حَنْزَلَةَ وَمَعْلَقَتُهُ

الحارث بن حنزة شاعر مقل كعمرو بن كلثوم ، وقد عده ابن سلام أيضاً في الطبقة السادسة مع عمرو . ولالحارث أيضاً معلقة وبضع مقطعات .

(١) فوارسهم : رجالهم . مطهين : كاشفين عن وجوههم في الحرب ، أبطال . كان الفرسان يتقنون كيلاً يعرفون فيأخذ الناس بثأرهم منهم . ولكن البطل العظيم كان لا يبالي بغيره فيكشف وجهه . (٢) ليستان : ليعتدوا خيل الأعداء وسبوفهم ثم بأسروا الأعداء أنفسهم ويصفدوهم في الحديد . (٣) يقتن جيانا : يملقن (يطمعن) خيولنا . تمنعونا تحافظون علينا ، تمنعونا . (٤) إذا الملك ظلم كل الناس فنحن وحدنا لا نقبل بظلمه . (٥) الجهل هنا ضد الحلم - إذا سفه أحد علينا زدنا عليه في السفاهة (٦) ونبي بني : ضعف (٧) إذا سلطنا سيوفنا في الحرب شعرنا كأننا ولدنا جميع الناس ، أي كأنهم كلهم أولادنا يجب علينا أن نحميم ، ونحن نستطيع ذلك .

موجز ترجمته وخصائص شعره :

كان الحارث بن حازة شاعر بني بكر وسيداً فيهم ، وكانت مساكن بني بكر في العراق . وشهد الحارث عمرو بن كلثوم وهو ينشد معلقته عند عمرو بن هند ، فرد عليه واستمال عمرو بن هند فحكم عمرو بن هند لبني بكر على تغلب . وقيل ان سبب ميل عمرو بن هند الى بني بكر ان الحارث تقرب بمعلقته الى الملك عمرو بن هند ومدحه ، بينما عمرو بن كلثوم نفره بما ساق في قصيدته من الفخر بقومه وبما حشاها من التعريض بالملوك والابطال والظالمين .

وشعر الحارث بن حازة سهل رائق حتى قيل ان معلقته منحولة لحسن ديباجتها وسهولة لفظها وتراكيبها ، فهي عندهم اشبه بالشعر العباسي ، وخصوصاً لانها من البحر الخفيف (فاعلاتن مستعلن فاعلاتن) وهو بحر كان نادراً في الجاهلية ولكنه ذاع في العصر العباسي .

المختار من معلقته :

- | | | |
|---|---------------------------|--|
| أَذْنَتْنَا يَدْبِنَهَا | اسماء | وَبِثَّوِ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١) |
| بَعْدَ عَهْدٍ أَنْ يَبْرُقَ شَمَاءُ | شما | تَنَادَى دِيَارَهَا الْخِصَاءُ (٢) |
| لَا أَرَى مِنْ عَهْدٍ فِيهَا فَا بَكِي | لا ارى من عهدت فيها فابكي | يَوْمَ دَلَّهَا وَمَا يُبِيرُ الْبَكَاءُ (٣) |
| وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدْتُ هَنْدُ النَّأُ | وبعينيك اوقدت هند النأ | رَ أَخِيرًا تُلَوِي بِهِ الْمِلْيَاءُ (٤) |
| فَتَنُورَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ | فتنورت نارها من بعيد | بِخَزَازِي هَهْنَاءٍ مِنْهُ الصَّلَاءُ (٥) |
| أَوْقَدْتُهَا بَيْنَ الْمُقَيِّقِ فَشَخْصِي | اوقدتها بين المقيق فشخصي | نَ بَعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ (٦) |

(١) اخبرتنا اسماء انها سترحل عنا ، ورب مقيم (غيرها) يمل من المكان الذي يقيم فيه (٢) بعد ان التقينا في برقة شماء والخصاء التي هي اقرب ديارها لنا . (٣) دلها : جزعاً ، من ذهاب العقل . (٤) يبير البكاء : ما يفيد ؟ (٥) ظهرت اسماء وهي راحلة عك مبتعدة كأنها في عينيك نار مشتعلة ، ولكنها اخيراً غابت عن بصرك (او لعلمها اوقدت ناراً حقيقية) . وأبت نارها من بعيد ، ولكن رؤبة النار من بعيد لا تدفىء ، وكذلك رؤبة اسماء من بعيد لا تفيد . (٥) خزازی : اسم جبل . (٦) ظهرت نارها ضميقة لبعدها ؟

واتانا من الحوادث والانبا
 أن اخواننا الاراقم يغلو
 يَخْلُطُونَ البري منا بذي اللذ
 زعموا ان كل من ضرب العير
 اجمعوا امرهم بليل فلما
 من مناد ومن مجيب ومن تص
 خطب نعى به ونساء
 ن علينا في قيلهم احفاء : (١)
 ب ، وما ينفع الخلي الخلاء : (٢)
 ر موال لنا وانا الولاء : (٣)
 اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء : (٤)
 هال خيل خلال ذاك رغاء : (٥)

أيها الناطق المرقش عنا
 لا تخلنا على غراتك إنا
 فبقينا على الشناعة نتميه
 ملك مقسط وافضل من ي
 عند عمرو ، وهل لذك بقاء : (٦)
 قبل ما قد وشى بنا الاعداء : (٧)
 لنا حصون وعزة قعساء : (٨)
 شي ، ومن دون ما لديه الثناء : (٩)

(١) الاراقم : قسم من بني تغلب . يفلون علينا : يبالغون في اتهامنا . القيل : القول ، احفاء : إلحاح ، تخامل . (٢) الخلي : البريء . يمدوننا ككنا مذنبين ، حتى البريء لا تنفعه براءته . (٣) في الاصل : العير بفتح العين : الحمار ، ولا معنى له على الرغم مما تحمل له الزوزني في « شرح المعلقات السبع » من الوجوه . ولعل الصواب العير بكسر العين : القافلة وحينئذ يستقيم المعنى لان الخلاف بين بكر وتغلب عند عمرو بن هند كان يدور حول هلاك الرهائن من بني تغلب . وكان عمرو بن هند قد وجههم مع الرهائن من بني بكر في شأن له فهلك التغليون . راجع ايضا سورة يوسف « ١٢ : ٨٢ » : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها » . موال لنا : قريب لنا . نحن من حزبه . لنا الولاء : انا اصحاب ولائهم والمسؤولون عن اعمالهم الضامنون لجرائمهم . (٤) م دبروا هذا الامر في الحفاء واختلقوا علينا هذه التهمة ، ولما اصبح الصباح اخذوا يلوحون بها . (٥) اختلعت اصوات الناس باصوات الخيل والابل . (٦) المرقش : المزوق ، الكاذب . عمرو : عمرو بن هند . بقله : ثبات ، صحة . (٧) لا تظن ان اغراءك الملك بنا يخفيها ، فبكنا وشى بنا كثيرون فلم يضرنا . (٨) ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا يرتفع شأننا ونحمينا حصوننا وشجاعتنا . (٩) مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : الثناء لا يفي باعماله الكريمة والصالحة

- ايما خُطّة أردتم فأدّو ها ايّا تشفي بها الأملاء. (١)
 لا يُقيمُ العزيز بالبلد السهم ل ولا ينفعُ الذليل النجاء. (٢)
 ليس ينجي الذي يواثل منا رأس طود وحرّة رجلاه. (*)
 ملكٌ أضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاء. (٤)
 كتكاليف قومنا أذ غزا المنذر هل نحن لابن هند رعاء. (٥)
 ما أصابوا من تغاي فمطلو ل عليه ، اذا أصيب ، الفقاء. (٦)

- ايها الناطق المبلغُ عنا عند عمرو وهل لذك انتهاء. (٧)
 فاتركوا الطيخ والتعاشي فاما تتعاشوا ففي التعاشي الداء. (٨)
 واذكروا حلف ذي المجاز وما قديم فيه العهود والكفلاء. (٩)
 حذر الجور والتعدي ، وهل ينه قُض ما في المهارق الاهواء. (١٠)
 واعلموا اننا واياكم بما اشقرطنا يوم اختلافنا سواء. (١١)

(١) الاملاء جمع ملاء : الاشراف. - اعرضوا على اشرافنا كل مشكلة تعرض لكم وهم يجدون لها حلا
 (٢) القوي المعتز لا يسكن في البلد السهل - حيث يسهل ظلمه واستعباده - النجاء : الخروج ، الهرب - والذليل
 ايّا ذهب يبقى ذليلاً . (٤) اضرع البرية : ملك الناس وساسهم واقدر عليهم وليس له مثل فيهم «؟»
 (٥) النكاليف : المشقات . لما غزا المنذر غزا قومنا معه فتحملوا ، شاق كثاراً . - أنحن وحدنا رعية
 لعمرو بن هند ؟ (٦) اذا قتل رجل من تغلب طل دمه - هدر فلم يأخذ احد بثأره - ، اما بنو بكر
 « قوم الحارث » فيأخذون بثأر قتلاهم . (٧) ايها - الناطق ... الا تنتهي عن تبليغ الاخبار ، اي
 الوشاية بنا . (٨) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . (٩) ذو المجاز : المكان الذي عقد فيه عمرو
 ابن كلثوم الصلح بين بكر وتغلب . العهود : المواعيد . الكفلاء : الرهائن . (١٠) المهارق «الورق»
 احذروا الظلم والتعدي فان العهود المكتوبة لا يجوز ان تخالف (١١) الشروط التي اتفقنا عليها
 تلزمكم كما تلزمنا . (*) ان الذي يهرب منا الى راس جبل او الى ارض حرة « بوكانية » رجلاه
 خشنه يترجل فيها ، اي لا تسير فيها الخيل والابل . - لا ينبغي

أعلينا جُناح كِنْدَةَ أَنْ يَنْ نَمَ غَازِيَهُمْ وَمَنَا الْجَزَاءُ (١)
 لَيْسَ مِنَّا الْمَضْرَبُونَ وَلَا قِيدَ سِ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحِذَاءُ (٢)
 أَمْ جَنَّا يَا بَنِي عَتِيقٍ فَانَا مِنْكُمْ إِنْ غَدَرْتُمْ كِبْرَاءُ (٣)
 ج - عنترة وحماسته

ويلحق بباب الملاحم قصائد عنترة في الحماسة ولا سيما معلقته . وكذلك قصة
 عنترة ملحمة من الطراز الاول ، فليراجع ذلك كله في الفصل الذي يعالج شعر
 عنترة من هذه الدراسة .

(١) اتغزوكم كندة وتغنم منك ثم تريدون ان تأخذوا ثأركم منا نحن . ٣ و ٢ - لا الذين اعتدوا
 كانوا منا ولا الذين اعتدي عليهم ، فاذا اردتم ان تغدروا فاننا نتبرأ منكم .

٤ - الرثاء

الرثاء وصف الميت والتفجع له وذكر حسناته في الحياة . ويكون الرثاء من حيز المديح فيأتي فخماً متيناً شريف المعاني جامعاً للحكمة والتأمل في الحياة . وقد يكون من حيز الغزل فيأتي رقيقاً سهلاً قريب المعاني فيأض العاطفة كثير التفجع . والرثاء كالغزل ينبع في النفس الانسانية وهو قديم قدم الموت ، ولذلك كثر في الشعر كله قبل الاسلام وبعده .

والرثاء - بالاضافة الى الرائي - قسمان : قسم يقوله الشاعر في اهله كابيه وولده واخيه وزوجه ، ويكون مبنياً على العاطفة ، ثم قسم يقوله الشاعر اعجاباً بنفر من الغرباء كالقواد العظام والحكام والعلماء وفي الاصدقاء . ولا ريب في ان القسم الاول الصق بالعاطفة واخلق باسم « الرثاء » .

ولقد كان في الجاهلية شعراء اشتهروا بمراثيهم في اهلهم خاصة نعد منهم ساعدة بن جؤية وابا خراش والمتنخل ، وهؤلاء هذليون ، ثم لبید بن ربيعة ودريد بن الصمة والمهلل ، واقدمهم المهملل . ولقد ادرك الاسلام من الجاهليين شعراء برعوا في الرثاء نعد منهم ابا ذؤيب الهذلي والخنساء ومتمم بن نويرة ثم مالك بن الریب وقد لدغته حية وايقن بالهلاك فرثى نفسه .

١ - المهملل

المهملل هو عدي بن ربيعة التغلبي من اهل العراق ومن اقدم الشعراء الذين وصلت الينا اخبارهم ، اذ هو خال امرئ القيس وجد عمرو بن كاثوم لامه . وتوفي المهملل في حدود ٥٣٠ م .

والمهملل اخو كليب وائل الذي قتله جساس فأدى مقتله الى نشوب حرب البسوس بين بكر وتغلب . فلما قتل كليب جعل اخوه المهملل يرثيه .

فمن مراثي مهملل في اخيه كليب :

- اختار أبو تمام في كتاب الحماسة من رثاء المهلهل لاختيه كليب :

نُبِئت أن النار بعدك أوقدت واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمر كل عزيمة ، لو كنت شاهدَهم بها لم يندسوا (١)
وإذا تشاء رأيت وجهاً واضحاً وذراع باكية عليها بُرْنس (٢)
تبكي عليك ، ولست لائم حرة تأسى عليك بعبرة وتنفّس (٣)

- واختار له أبو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب قصيدة منها :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق (٤)
حلت ركاب البغي في وائل في رهط جساسٍ ثقال الوسوق (٥)
يا أيها الجاني على قومه جنابةً ليس لها بالمطيق ،
إن ركوب البحر ، ما لم يكن ذا مصدر ، من مهلكات الغريق (٦)

إلى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشدة ورتق الفتوق (٧)
من عرفت يوماً ممدُّ له علياً معدٍ عند أخذ الحقوق
مضلعاً بالأمر يسمو له في يوم لا ينسأغُ حلقُ بريق
سيد سادات إذا ضمهم مُعْظَمُ أمر (٨) يوم يؤس وضيق
لم يك كالسيد في قومه بل ملكٌ دين له بالحقوق

(١) بخنوا في الامور . ولو كنت انت موجوداً لسكنوا هم وكان الرأي لك وحده . (٢) برنس : ابيض . برنس : ثوب . (٣) تنفس : تكثر التنفس تفريحا لحزنها . (٤) قصد الطريق : الطريق القويم ، وجه الصواب . (٥) الوسق : الحمل . (٦) اذا ركب الانسان البحر من غير ان يعرف الساحل الذي سينزل عليه فذلك من اسباب هلاكه في البحر وغرقه . (٧) رتق الفتوق : الاصلاح بين المتخاصمين . (٨) حادث عظيم ، مصيبة .

ان نحن لم نأر به فاشحذوا شِفَارَكُمْ منا حَزْ الخلق
اصبح ما بين بني وائل منقَطَع الحبل بعيد الصديق
ومن مرآئي مهلهل المشهورة في اخيه كليب :

أهَاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الْإِدْكَارُ هَدَوْأُ (١) فَالدموع لها انحدار
وصار الليلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَار
وَبِتُّ أَرَأِيبُ الْجُوزَاءِ حَتَّى تَقَارِبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أَنْحَادُ (٢)
أَقْلِبُ مَقْلَاتِي فِي إِثْرِ قَوْمِ تَبَايَنْتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا .
دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تَجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
أَجِبْنِي ، يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمْ (٣) لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا نَزَارُ
وَأَنَّكَ كُنْتَ تَحَامُّ عَنْ رِجَالِ وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ .
فَلَا تَبْعُدْ فَكُلْ سَوْفَ يَلْقَى شَعُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمَدَارُ . (٤)
يَعِيشُ الْمَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ صَارُوا .
كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كَلِيبًا تَطَايَرُ بَيْنَ جَنْبِي الشَّرَارُ .
فَدَرْتُ وَقَدْ عَشِيَّ بِصَرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ (٥)

بما تقدم من المختارات نرى ان رثاء المهلهل ليس من النمط العالي في الشعر ،
وليس فيه تلك المعاطفة العميقة التي تجعل رثاء يصلح ان يقوله اخ في اخيه . ثم

(١) الادكار : التذكر . هدوءاً : عند هدأة الليل ، اول الليل (٢) اقترب غيابها . (٣) تنزهت
عن كل شيء فيه ذم او عيب ، خلوت من كل عيب . (٤) لا تبعد : تعبير يقال نليت ، لا تذهب
عنا . شعوب : الموت . (٥) عشي بصري : ضعف . العقار : الحمر

ان بناء شعر المهلهل عموماً ليس بناء متيناً .
وفيا يلي نماذج يسيرة من الرثاء الجاهلي والمخضرم ترى فيه شوب العاطفة
وصدق القول وشرف المعاني ومتانة التركيب :

ب - الخنساء

هي ثُمَا ضَر بنت عمرو الشريد من بني سليم ، والخنساء لقب لها . وكانت بنو
سليم يسكنون ما بين شمالي الحجاز ونجد . وقد خطبها دريد بن الصمة ، وكان
شيخاً كبيراً فردته اذ آثرت ان تتزوج في قومها . وكان زوج الخنساء متلافاً
فاتلف مالها ، فلبأت الى اخيها صخر فشاطرها ماله .

ثم قتل اخوها معاوية وصخر في الجاهلية فحزنت عليها حزناً شديداً
واخذت برثائها .

ولما جاء الاسلام وفدت على الرسول في نفر من قومها وأنشدته من شعرها ثم
اسلمت بين يديه .

ولقد كان للخنساء اربعة بنين ، فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيتها الاربعة
وحضتهم على القتال ونصرة الاسلام فحاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعهم ،
فلما جاءها النعي بمصرعهم لم تزد على ان قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو
ان يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وتوفيت الخنساء سنة ٤٢ للهجرة (٦٦٣ م) .

شعرها

الخنساء اعظم شواعر العرب على الاطلاق وشعرها متين السبك حلو الديباجة
فياض العاطفة . ولقد استفرغت الخنساء جهدها في رثاء اخويها معاوية وصخر ولم
ينهنه الاسلام من دمعها عليهما . ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة - ولها
من العمر خمسين عاماً - قال لها عمر وقد رأى شدة حزنها عليها : لماذا تحزنين
عليهما وهما في النار ؟ فقالت ذلك ادعى لحزني عليهما ، لقد كنت من قبل ابكي
لهم من النار وانا اليوم ابكي لهما من النار .

ومع ان للخنساء شيئاً من الفخر فان رثاءها اشهر ، من ذلك قولها :

أعيني جودا ولا تجمدا ،
 ألا تبكيان الجريء الجميل
 ألا تبكيان الفتى السيدا
 رفيع العماد طويل النجا
 د ساد عشيرته امردا .
 إذا القوم مدوا بأيديهمو
 إلى المجد ، مد إليه يدا
 فقال الذي فوق أيديهمو
 من المجد ثم انتمى مُصْعِدا (١) .
 وان كان اصغرهم مولدا .
 تأرز بالمجد ثم ارتدى .
 وقالت فيه ايضاً :

ألا يا صخر ان ابكيت عيني
 لقد اضحكتني زمناً طويلا .
 دفعت بك الخطوب وانت حي ،
 فمن ذا يدفع الخطب الجليلا (٢)
 اذا قُبِح البكاء على قتيل
 رأيت بكاءك الحسن الجميلا .
 ومن رثائها المشهور :

يدكرني طلوع الشمس صخر
 واندبه لكل غروب شمس .
 ولولا كثرة الباكين حولي
 على اخوانهم لقتلت نفسي .
 وما يبكون مثل اخي ولكن
 أعزي النفس عنه بالتأسي .
 فلا والله لا انساك حتى
 أفارق مهجتي وأزور رمي .
 فقد ودعت ، يوم فراق صخر
 ابي حسان ، لذاتي وأنسي .
 فيا لهفي عليه ولهف امي :
 أيصبح في الضريح وفيه يمسي ؟

(١) ارتفع موغلا في العلو . (٢) الخطوب : المصائب . الخطب الجليل : الموت

ج - دريد بن الصمة

دريد بن الصمة من سادات هوازن وفرسانهم، أدرك الاسلام فلم يسلم. واتفق ان غزا قومُه بني غطفان فاخرجوه معهم ليستفيدوا من رأيه لانه كان قد شاخ في ذلك الحين. وظفرت هوازن بغطفان فانسحبت غطفان استدراجا لبني هوازن فتبعهم بنو هوازن. عندئذ نصح دريد لقومه بان القوم يكيدون لهم فلم يسمعوا منه بل تبعوهم. فارتدت غطفان على هوازن وهزمتهم. وكان في القوم أخوان لدريد: عارض وعبدالله، فقتل عبدالله في المعركة، فقال دريد يرثيه:

نصحت لعارض واصحاب عارض	وربط بني السداء والقوم شهدي (١)
فقلت لهم ظنوا بألقي مدجج	سراتهمو في الفارسي المسرد (٢)
فلما عصوني كنت فيهم وقد اري	غوايتهم وانني غير مهتد .
امرتهمو امري بمنعرج اللوى (٣)	فلم يستبينوا النصيح الا ضحى الغد .
وهل انا الا غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد . (٤)
تنادوا فقالوا: أردت الخيل فارسا	فقلت: أعبد الله ذككم الردي؟ (٥)
فجئت اليه والرماح تنوشه	كوقع الصياصي في النيسج الممدد (٦)
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست	وحتى علاني حالك اللون اسودي (٧)

(١) نصحت المذاهبين الى الحرب الا بفعلوا (٢) السراة : الوجهاء ، سادة القوم . الفارسي المسرد : الدروع المنسوجة - نسجا جيدا - ان اعداءكم الفارجل كالوعدة الحرب ، اكثر منكم عددا وسلاحا (٣) منعرج اللوى : مستدار الرمل ، اسم مكان - لما وصلنا الى ذلك المكان قبل ان ندخل المعركة امرتهم بالرجوع فلم يعرفوا صواب رأبي الا في اليوم التالي بعد ان هزموا في المعركة . (٤) انا من قومي لا اعصيههم فان ضلوا ضلكت معهم وان اهدوا اهديت معهم (٥) أردى : قتل ، اهلك . الردي : القتل . (٦) تنوشه : تمزقه . الصياصي جمع صيصه : « المكوك » - كانت الرماح تمزقه بكثرة وبسرعة (٧) تنفست : تفرقت . الاسودي : الاسود . حالك اللون اسودي : غبار الحرب.

- قتال امرئ، آسى أخاه بنفسه ويعلم ان المرء غير مخلد. (١)
 فان يك عبد الله خلّى مكانه فما كان وقافاً ولا طائش اليد (٢)
 قليل التشكى للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقاب الاحاديث في غد (٣)
 وطيب نفسي أني لم اقل له : كذبت ولم انجل بما ملكت يدي (٤)

د - لبيد بن ربيعة

وكان للبيد اخ اسمه أربد جاء في وفد من قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينوي قتله ، ولكنه لم يستطع فرجع ولم يفعل شيئاً . الا انه كان دائماً يتوعد الرسول . وفي بعض الايام خرج أربد لبعض شأنه فأصابته صاعقة فاحرقته ، فقال لبيد يرثيه ، لما وصل اليه الخبر الحزن :

- لعمري لئن كان المخير صادقاً لقد رزئت في حادث الدهر جعفر (٥)
 اخا لي أما كل شيء سألته فيعطي واما كل ذنب فيغفر (٦)
 فان يك نو من سحاب أصابه لقد كان يعلمو في اللقاء ويظفر (٧)
 وللبيد قصيدة فيها رثاء لاخته أربد وفيها حكمة ، منها :
 بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع (٨)
 وقد كنت في اكتاف جار مضنة ففارقني جار بأربد نافع (٩)
 فلا جزع إن فرق الدهر بيننا فكل امرئ يومأ به الدهر فاجع
 وما الناس إلا كالديار واهلها بها يوم خلوها وراحوا بلاقع (١٠)

(١) لم اكن اربد الموت لان الموت لا بد منه . قاتلت عنه قتالا صادقا لانه اخي وهو كنفي .
 (٢) طائش اليد : الذي لا يصيب الهدف ، قليل العلم بالحرب (٣) كان صبوراً قليل الشكوى وكان لا يأتي اليوم عملاً كمن ان يلام عليه غداً) انا مطمئن ولومات اخي ، لاني لم اخذله في الحرب ولاني دافعت عنه بقدر استطاعتي (٦ و٥) جعفر بنو جعفر ، قوم لبيد . جعفر نائب فاعل . اخاً مقعول به ثان (٧) النو : الحوادث الجوية ، المطر الصواعق ... اللقاء : الحرب ، القتال . (٨) نحن نفى ولكن النجوم خالدة بعدنا والارض والمباني (٩) كان أربد جاراً « شريكاً في الحياة » اذن به (١٠) بلاقع : خراب .

وما المرء الا كالشهاب وضوئه
وما المال والاهلون الا ودائع
وما الناس الا عاملان : فعامل
فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه
لعمرك ما تدري الطوارق بالخصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع (٤)

و - متم بن نويرة

كان متم من بني تميم وهو شاعر مخضرم . ولقد اتفق ان قُتل اخوه مالك في
حروب الردة في ايام ابي بكر ، في حديث طويل ، فحزن عليه ورثاه رثاء رقيقاً بليغاً :
لعمري ، وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجما (٥)
لقد كفّ المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان المشيات اروعا (٦)
لبيباً أعان اللب منه سماحةً خصيباً اذا مارا كب الجذب اوضعا (٧)
أغرّ كنصل السيف يهتز للذدى اذا لم يجد عند امرىء السوء مطمعا (٨)
فميني جودي بالدموع لما لك اذا أردت الريح الكنيف المربعما (٩)

(١) يكون للشهاب «النيزك» مضيئاً جداً وهو ساقط في طبقات الهواء ، ثم يحترق ويتلاشى ،
وكذلك الانسان يكون حياً ثم يموت (٢) يتبر : يهدم ، يدمر . رافع : بان «من بني» (٣) بالعيشة
قانع : خامل يكتفى من الحياة بان يأكل ويشرب وينام (٤) الطرق بالخصا وزجر الطير من اعمال
استطلاع المستقبل . ان هذا كله لا يدل على المستقبل والله لم يهب علم الغيب لاحد من خلقه .

(د) لا اريد تأبين أخي مالك ولا اني جزعت من المصاب الذي اوجمني «؟» (٦) المنهال : اسم
رجل مر بمالك وهو قاتل فخلع ثوبه والقاء على مالك . غير مبطان المشيات : قابل الطعام في المساء
اروع : جميل (٧) اضاف الى حسن فضله كرماً . راكب الجذب : الذي يأتي من بلاد مجدة . اوضع :
اناخ ناقة . (٨) اذا جاءه احد من بلاد مجدة وجد عنه ارزاقاً كثيراً ووجده كريماً ، اذا بخل غيره .
(٩) اذا قلت الريح البيت المربع «المبنى بالحجارة؟» - في الشتاء حين يقل الطعام وتكثر الحاجة .

فنى كان مخذاما الى الروع ركضه
وما كان وقافاً اذا الخيل احجمت
أبى الصبر آيات اراها وانى
وانى متى ما ادع باسمك لا تجب
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك
فوالله ما أستمي البلاد لحبا
تحيته منى وان كان نائياً
فان تكن الايام فرقة بيننا
وعشنا بخير فى الحياة وقبائنا
وكنا كندمانى جذية حقة
فلما تفرقنا كأني ومالكاً

سريعاً الى الداعي اذا هو فزعا (١)
ولا طائشاً عند اللقاء مروعا (٢)
أرى كل جبل بعد حبلك أقطعا (٣)
وكنّت حرياً ان تجيب وتسمعا (٤)
ذهب الغواصي المدجنات فامرعا (٥)
ولكنني أسقي الحبيب المودعا (٦)
وامسى تراباً فوقه الارض بقلعا (٧)
لقد بان محموداً اخي يوم ودعا (٨)
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا (٩)
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا (١٠)
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا .

(١) كان سريع الركض الى الحرب وسريعاً اذا دعاه أحد نزلت به مصيبة .
(٢) اذا تراجع الخيل خوفاً من هول الحرب لم يقف هو بل اقدم . واذا حارب احسن اصابة
الاعداء ولم تخفه الحرب (٣) الآيات : العلامات - الذي جعلني آسى عليك علامات من الخير «الشجاعة
الكرم النخ» كنت اراها فيك وعلمي ان لائقة بمدك باحد ؛ وانني الآن ادعوك فلا تجيب « لانك
ميت » وكان خليفك ان تجيب « لاننا نحن لا نزال بحاجة اليك » (٥) ذهب جمع ذبحة : السحاب
الغواصي : التي تأتي باكرأ . مدجنة : سوداء لكثرة ما فيها من الماء (٦) اسقي : اطلب السقيا .
(٧) تلك تحيته منى وان كان قد اصبح بعيداً عني ، وصار عليه تراب ، وامست الارض حوله فاحلة لا
شي . فيها (٨) لقد مات اخي يوم مات والناس كلهم يمدحونه (٩) رهط كسرى وتبع : اصحاب ملوك
فارس وملوك اليمن . (١٠) ندمان : نديم . نديما جذية الابرش اول ملوك الحيرة كانا مالكا وعقلا
ابني فارح بن كعب جماعهما جذية نديمين له لانهما ردا عليه ابن اخت له فحكمهما في ما يريدان منه
فطلبا ان يكونا نديمين له . ثم قتلها في حديث طويل .

فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا (١)
وَحَسْبُكَ أَنِي قَدْ جَهَدْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِكَفِّيَ عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَاً (٢)
وَقَدْ غَالَنِي مَا غَالَ قَيْسًا وَمَالِكًا وَعَمْرًا وَجَزْأً بِالْمَشَقَرِ أَجْمَا (٣)
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى أَصَابَ مُتَالَعًا أَوْ الرُّكْنَ مِنْ سَلَمَى إِذَا لَتَضَعُضَعَا (٤)

د - ابو ذؤيب الهذلي

ابو ذؤيب الهذلي شاعر مُحَضَّرَم توفي في أيام عثمان بن عفان في طريقه الى مصر. وقد كان له خمسة بنين هلكوا في عام واحد، اصابهم الطاعون . فقال يرثيهم :

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ؟ وَالْدَهْرِ لَيْسَ بُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ (٥)
قَالَتْ أُمَيْمَةُ : مَا لَجَسِمِكَ شَاحِبًا مِنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلَ مَا لَكَ يَنْفَعُ (٦)
أَمْ مَا لَجَسِمِكَ لَا يَلَاثِمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ ؟ (٧)
فَاجْبِئْهَا : أَمَا لَجَسْمِي إِنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا (٨)
أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةٍ مَا تُقَالُ (٩)
سَبَقُوا هَوَايَ وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتُخَرَّمُوا وَائِكُلُ جَنْبِ مَصْرَعِ (١٠)

(١) تمنع : امتنع من العدو ، دافع عن نفسه (٢) لقد حاولت جهدي ان ارد الموت عنه فلم أقدر
(٣) غالي : اصابني « اي الموت » . المشقر : يوم من ايام العرب ، معركة . اي اصابني في اخي
مالك ما اصاب هؤلاء . اجمع جميعاً . وفي رواية : ألهما ، اي ذهب بهم (٤) متالع : جبل . سلمى :
جبل - لو ان الذي اصابني في اخي مالك اصاب جبلي متالع وسلمى لانهدا كلاهما .
(٥) المنون : الدهر ، الموت . اعنب : ارضى - الموت لا يهتم بمن يحزن على هالك له (٦) ابتذل :
امتهن نفسه في العمل والسفر - كان بنوك يكفونك امر العيش ، وارك بعدم تعمل فهزل جسمك
مع ان لك مالا يغنيك عن العمل للكسب (٧) اصبحت لا تستطيع النوم على فراش (٨) اما : اما
الذي . اودى : هلك (٩) عبرة ما تقلع : دمع لا يحف ابداً (١٠) هوي . هواي « ماتوا قبلي
و كنت اود ان اموت قبلهم » . نخرمهم الموت : اخدم واحداً واحداً .

فغبرت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بان ادافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعدهم كأن حذاقها
حتى كأني للحوادث مروة
وتجلدي للشامتين أريهم
لا بد من تلف مقيم فانتظر
ولقد أرى ان البكاء سفاهة
وليأتين عليك يوم مرة
والنفس راغبة اذا رغبتهما
كم من جيمي السمل ملتيمي الهوى
فلئن بهم فجع الزمان وريبه
بعدئذ يمضي ابو ذؤيب فيضرب امثلة على ان الموت لا يبقى على احد : الثور
النشيط الذي يرتع مع شاته (زوجته) في روضة غناء ، يحف ماء الروضة وعشبها
ثم يجيء قانص فيرميها فيقتلها . وكذلك الفارسان يتنازلان في حومة الوغي :

وإخال أني لاحق مستبغ (١)
وإذا المنية أقبأت لا تدفع
ألقيت كل تيممة (٢) لا تنفع
سملت بشوك فهي عورت تدمع (٣)
بصفا المشتّر كل يوم تفرع (٤)
أنى لريب الدهر لا أتضع
أبارض قومك ام بأخرى المضجع
ولسوف يولع بالكامن يفجع (٥)
يبيكي عليك مقنعا (٦) لا تسمع
وإذا ترد الى قليل تقنع .
كانوا بعيش واحد فتصدعوا
إني باهل مودتي لمفجع .

(١) غبر : بقي ، ناصب : متعب

(٢) حجاب ، حرز (٣) حذاق جمع ، حذقة : موضع النظر من العين . سملت : فقت . عور
جمع اعور وعوراء : مصابة بأذى (٤) مروة : صخرة . ويروى : بصفا المشرق - كأني صخرة في
السوق « صفا المشقر » يمر الناس عليها دائما . والمشقر ايضا جبل هذيل . ولله يعني صخرة المشقر
عند مكة وهي التي ترجمه في مواسم الحج ، يمر بها كل حاج فيقذفها بسبع حجارة صغار (٥) لا فائدة
فيه من البكاء ولكن سيظل الناس يبكون كلما فجعوا .

(٦) على وجهك فناع : ميت .

١. فتنازلا وتواقفت خيلاهما
 ٢. يتحاميان المجد كل واثق
 ٣. فكلاهما متوشح ذا رونق
 ٤. وكلاهما في كفه بزينة
 ٥. وعليهما مسرودتان قضاها
 ٦. فتخالسا نفسيهما بنوافذ
 ٧. وكلاهما قد عاش عيشة ماجد
 ٨. ففقت ذبول الريح بعد عليها
١. وكلاهما بطل اللقاء مخدع
 ٢. ببلائه فاليوم يوم أشنع
 ٣. عضباً إذا مس الضريبة يقطع
 ٤. فيها سنان كالمنازة أصلع
 ٥. داوود أو صنع السوابغ تبع
 ٦. كنوافذ العبط التي لا ترقع
 ٧. وجني العلى لو ان شيئاً ينفع
 ٨. والدهر يحمص ديبه ما يزرع

(١) اللقاء : القتال . مخدع : مجرب في الحرب - تنازلا مدة طويلة لا يتقلب احدهما على الآخر .
 (٢) ببلائه : بمقدرته وشجاعته . أشنع : كريبه . كل واحد منهما يحاول ان يدافع عن مجده وشهرته .
 (٣) ذو رونق : سيف براق ماض . عضب : قاطم . الضريبة : ما يقع عليه السيف (٤) رمح .
 (٥) مسرودة : درع . قضاها : صنعها . داوود كان مشهوراً بصنع الدروع او بما عنده من دروع جيدة .
 (٦) السوابغ : الدروع . تبع : لقب للملك اليماني . اي دروع جيدة كأنما صنعت لداوود او لتبع (٦) النافذة : الطعنة التي تنفذ من جانب في الجسد الى جانب آخر . العبط جمع عبط : « كثرت ثقبوها فلا يمكن رقعها » (٧) تحت الريح مكان موتها « غطتها بالمال » . ريبه : حوادثه .

٥ - الهجاء

الهجاء هو سلب الصفات الحميدة عن الخصم ونسبة زهدا له . والهجاء اما ان يتناول شخصاً واحداً او ان يتناول مجموعاً من الاشخاص . اما الهجاء الشخصي فكان نادراً في الجاهلية ، اذ كان اكثر الهجاء هجاء قبلياً يتناول القبيلة التي ينتسب اليها الخصم .

ثم ان الهجاء كان يتناول الصفات الخُلُقِيَّة المذمومة كالبلخل والجبن والسوء والتعاس عن النجدة وعن قيرى الضيوف - لقد كان الهجاء ضد الفخر . على انه ربما تعرض الهاجي للعيوب الجسدية . وكان الهجاء ، كيفما دارت به الحال ، مكروهاً في الجاهلية ، قال أُرطاة بن سُهَيْبة المُرِّي :

تَمَنَّتْ - وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةٍ رَأَيْهَا - لَا هَجْوَهَا ، لِمَا هَجَّتْنِي مُحَارِبُ .
مِمَّا ذَاكَ الْآلِهَ ، إِنِّي بِقَبِيئَاتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبٌ .
وَقُلْ إِنْ جَاءَ الْهَجَاءُ الشَّخْصِي خَالِياً مِنَ التَّعْرِيزِ بِالْقَبِيلَةِ ، لِأَنَّ الْفَرْدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ قِيَمَتُهُ مُسْتَمَدَّةً مِنْ قِيَمَةِ قَبِيلَتِهِ ، قَالَ خَارِجَةُ بْنُ ضَرَارٍ الْمُرِّي :

أَخَالِدُ ، هَلَا إِذْ سَفِهْتَ عَشِيرَةً كَفَفْتَ لِسَانَ السُّوءِ أَنْ يَتَدَعَّرَ (١) .
وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْتُكَ يَا أَلَا قَهْ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَ (٢) ؟
فَإِنَّكَ وَأَسْتَضَاعَكَ الشُّعْرَ نَحُونًا كَسْتَبْضِعَ قَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ (٣) .
وَمِنَ الْهَجَاءِ الشَّخْصِيِّ الْمَرْقُولِ النَّابِغَةِ يَهْجُو عَامِرُ بْنُ الْطَفِيلِ بَعْدَ أَنْ هَجَا عَامِرَ هَذَا بَنِي دُزْيَانَ . قَالَ النَّابِغَةُ :

فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَنَ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابِ (٤) .

(١) الدعر : السفه والخبث - الا يكفي ان تكون عشيرتك سفية حتى يسفه لسانك ايضا .
(٢) الحوْتُكي : القصير . الاقه (فعل ماضي) : امسكه ، ساعده - كنت ضعيفا فلما نصرك بنو عمك فويت فبغت .
(٣) خيبر منطقة قرب المدينة يكثر فيها النمر . (٤) في رواية : مظنة الجبل «مكانه» .
- انك لاتزال شاباً جاهلاً .

فكن كأيك او كأبي برآء توافقك الحكومة والصواب (١).
 فلا يذهب بليك طاميات من الخيلاء ليس لمن باب (٢).
 فإنك سوف تحلم او تناهي اذا ما شبت او شاب الغراب (٣).
 « فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه (٤) وقال : ما هجاني احد حتى
 هجاني النابغة : جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيها جاهلا وتهكم بي » (٥).

اما الهجاء القبلي او الهجاء القومي « ويمكن ان يسمى ايضا الهجاء السياسي
 لانه يتناول سياسة الاحزاب المختلفة ويبني على العصبية » فهو كثير بالاضافة الى
 الهجاء الشخصي . ومن أشهر ما ورد من ذلك في الجاهلية قول النابغة :
 نبت زُرْعَة والسفاهة كاسمها يُهدي إلي غرائب الاشعار .
 وسترد هذه القصيدة مع قصتها في دراسة النابغة .

(١) ابو براء عم عامر بن الطفيل كان يسمى ملاعب الاسنة ، وكان سيداً حكيماً - ابوك وعمك
 ميدان شريفان حكيان وانت سفيه خاطيء الرأي . (٢) طاميات : مرتفعات . اللب : العقل .
 الخيلاء : العجب والتكبر . - لاتدع عجبك بنفسك يعظم حتى يذهب بعقلك . (٣) سوف تصبح عاقلاً
 حكيماً او ينتهي جهلك على الاقل اذا شبت او اذا شاب الغراب « لن تصبح حكيماً ، لان الغراب
 لا يشيب » . (٤) صعب عليه ، اساء اليه . (٥) العمدة ٢ : ١٦٤

٦ - الغزل والنسب

الغزل وصف اعضاء المرأة الظاهرة كسواد شعرها وحمرة خديها واعتدال قوامها . اما النسب فهو التشوق للمرأة والشكوى من البعاد (١) . وكان الغزل والنسب في الجاهلية يدوران حول المرأة ويجريان في لفظ مؤنث ايضا . ولقد اتفق ان طرفه بن العبد تغزل بانثى ولكن في لفظ مذكر فقال :

وفي الحي احوى ينفض المرء شادن مظاهر سَمَطِي لؤلؤ وزبرجد
الا ان هذا نادر ، والمقصود به انثى لا شك في ذلك .

وقلما جاء الغزل والنسب وذكر اللهو مع النساء الا معا . واحسن ما يمثل ذلك في الشعر الجاهلي وارقه واجمعه قول المزار بن المنقذ العدوي في قصيدته التي مطلعها :

عجب خولة إذ تُنكرني ام ترى خولة شيخا قد كبر (٢)
فهو يقول فيها :

ما انا اليوم على شيء مضى ، يا ابنة العم ، تولى بحسر (٣)
قد لبست الدهر من افنانه كل لون حسن منه حبر (٤)
وتعللت وبالي ناعم بغزال احور العينين غر (٥)
هل عرفت الدار ام انكرتها بين تيرالك فشسي عبقر
قد نرى البيض بها مثل الدمي لم يخنهن زمان مقشعر (٦)

(١) راجع الفرق بين الغزل والنسب في « ابو نواس » الدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٠ وما بعدها (٢) تنكرني : تنجاهاني (٣) انا لست حزينا على شيء مضى من عمري (٤) قد عرفت جميع ضروب الحياة وتمتعت باحسنها (٥) وتمتعت كثيرا وبالي هاديء بفتاة سوداء العينين غريرة ممجبة بنفسها غير مجربة « صغيرة السن » (٦) البيض : النساء . الدمي : اللعب ، التمايل . الجميلة . لم يخنهن زمان مقشعر : لم يرمهن الدهر بالشيخوخة ولا بالمصائب .

يتلهينَ بنومات الضحى	راجحاتِ الحلم والأنس خُفِرَ (١)
قُطِفُ المشي قريبات الخطى	بُدنًا مثل الغمام المُنْخَر (٢)
يتزاورنَ كتقطاء القطا	وطِعمَنَ العيش حلواً غيرَ مر (٣)
لم يطاوعنَ بصرم عاذلاً	كاد من شدّة لوم يَنْتَحِرَ (٤)
وهوى القلب الذي اعجبه	صورةُ احسنُ من لاث الحُمُر (٥)
راقه منها بياض ناصع	يُونُقُ العينَ وضافَ مسبكر (٦)
واذا تضحك ابدى ضحكها	أقحوانًا قيدته ذا أُشُر (٧)
لو تطعمت به شبهته	عسلاً ، شيب به ثلج ، خَصِر (٨)
صلّاة الخد طويل جيدها	ناهد الثدي ولما ينكسر (٩)
فهي هيفاء هضيم كشحها	فخمة حيث يُشدُّ المؤتر (١٠)
تطأ الخز ولا تكرمه	وتطيل الذيل منه وتجر (١١)
عَبَقَ العنبرُ والمسكُ بها	فهي صفراء كعُرجونِ العُمُر (١٢)

(١) هن منعمات ينمن حتى ترتفع الشمس ، يؤنس الصديق ولهن راحة عقل مع حياه كثير .
(٢) قطف المشي : هادئات المشي . بدن : سمان . المزخر : المرتفع . ، واذا ارتفع الغمام ورق وبيض .
(٣) تقطاء : مشي القطة «نوع من الطير» ، مشي قصير الخطوات . طمعن : ذقن ؛) نهاهن العاذل عن الحب فلمنه
لوماً شديداً حتى كاد ينتحر (٥) هي اجل من لبس خماراً (٦) يونق : يعجب . ضاف مسبكر : شعر
وافٍ طويل (٧) اقحوان : اسنان . قيدته : حزنه بآبرة ثم وضعت عليه اثمداً «كحلا» ليحكك لونه ،
فعلت ذلك بلثنتها في الاغلب (٨) تطعمت به : ذقته . شيب : مزج . خصر : بارد . (٩) صلّاة الخد :
منجردة الخد ، خدها أملت غير مترهل . ناهد : مرتفع . لم ينكسر ثديها بعد لانها صغيرة السن .
(١٠) هيفاء : ضامرة . هضيم كشحها : خصرها نحيف . فخمة حيث يشد المؤتر : ضخمة الاوراك .
(١١) غنية مترفة تجعل الخز « الحرير » موطناً لها « فرشاً لارض بيتها » . واذا لبست حريراً جعلته
طويل الذيل . (١٢) عرجون العمر : قرط بلح السكر ، لونه اصفر جميل ، والعرب تحب اللون المزوج
بصفرة .

إنما النوم عِشاءَ طفلاً سِنَّةٌ تأخذها مثلُ السُّكرِ (١)
والضحى تغلبها رقدتها خَرَقَ الجُوذِرِ في اليومِ الخدرِ (٢)
وهي لو يُعصر من اردانها عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصر
املح الخلق إذا جرّدتها غير سَمَطَيْنِ عايبها وُسُوزِ (٣)
لحسبت الشمس في جلبابها قد تبدت من غَمَامٍ منسفر
صورة الشمس على صورتها كلما تغرب شمس او تذر (٤)
تركتني ليس بالحي ولا مَيّتٍ لاقى وفاةً فقبر
يسأل الناسُ ، أحمى داؤه ام به كان سلال مستسر ؟ (٥)
وهي دائي ، وشفائي عندها منعتة فهو ملوي عَسِرِ (٦)

ولم يكن في نفس الجاهلي رهبة حيال المرأة فلدها الرجل بها وذكر ذلك في شعره تلميحاً وتصريحاً . والذين ذكروا لهوهم بالمرأة صراحة كثار : امرؤ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم والاعشى وبشامة بن عمرو وسويد بن أبي كاهل البشكري والمرار بن المنقذ العدوي الذي مرت بنا أبياته .

الاعشى

الاعشى ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل من بني بكر بن وائل ، كان من فحول الشعراء في الجاهلية ومن شعراء المعلقات . وقد نسبت اليه معلقتان . وكان الاعشى كثير الاسفار في بلاد العرب يمدح امراءها وسرايتها ويتكسب منهم . وفي سنة ٨ للهجرة مدح الاعشى محمداً صلى الله عليه وسلم واراد ان يذهب اليه ليسلم .

(١) الطفل : الاصل ، وقت العصر . سنة : نوم (٢) في رواية : وفدتها «حرها» خرق الجوذِر : كخمول الجوذِر «الظلي الصغير» في اليوم الخدر «البارد» (٣٠) السمط : العقد . السور جمع سوار (٤) ذرت الشمس : اشرقت (٥) السلال : السل . مستسر : مخنف (٦) ملوي : مطول ، اي أسأها دواءً لدائي فتعدني ولكن لا تفني .

ولكن ناقته رمت به في اثناء الطريق فقتل . اما القصيدة فمطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة ارمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا (١) !
ومنها يذكر ناقته ثم ينتقل الى ذكر محمد رسول الله :

فأليت لا ارثي لها من كلاله ولا من حفى حتى ترور محمدا (٢) .
نبي يرى ما لا ترؤن وذكره أغار لعمرى في البلاد وانجدا (٣) .
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله يدا (٤) .
له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا (٥) .
واشتهر الاعشى بالمديح والغزل والخمر ، حتى قيل اشعر الناس ... الاعشى
اذا طرب . فمن شعره في الهو والغزل الصريح ما جاء في احدى معلقتيه :

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلاً بام خليل حبل من تصل .
قالت هريرة لما جئت زائرهما : ويلي عليك وويلي منك يا رجل .
وقد أخالس رب البيت غفلته ، وقد يحاذر مني ثم لا يئيل (٦) .
وقد أقود الصبى يوماً فيتبعني ، وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل (٧) .
ومن قوله في الغزل الصريح :

عهدي بها في الحى قد سربت هيفاء مثل المهرة الضامر (٨) .
قد نهّد الشدي على نحرها في مشرق ذي صبح نائر (٩) .

(١) ليلة ارمدا : كناية رمدت فيها عيناك « اصابها الرمد : المرض » . عادك : رجع اليك مرة بعد مرة . السليم : اللدبغ ، الذي لدغته الحية ، سمي سالماً تفاؤلاً بسلامته .

(٢) آلى : اقسم : رثى : اشفق . كلاله : تعب . حفى : السير بلا حذاء : كناية عن الالم من كثرة المشي (٣) اغار : وصل الى الغور ، الوادي . انجد : وصل الى النجد ، المكان المرتفع .
(٤) ناخت الناقة : مركت - اذا وصلت الى باب محمد استرحت ونلت من كرمه

(٥) تغب : تأتي يوماً بعد يوم . - عطاياه لا تنقطع (٦) يئيل : ينجو ، لا يستفيد من حذره
(٧) الشرة : نشاط الشباب (٨) هيفاء : ضامرة ، نحيلة (٩) نهّد : ارتفع . الصبح : لون الحلى - ان يياض صدرها مشوب بحمرة وذلك من الجمال عند العرب . نائر : نير ، منير .

حتى يقول الناس ، مما رأوا : يا عَجَبًا لِمَعِيَتِ النّاشِر (١) .
وللاعشى شعّر في اللهو بالنساء بادي الصراحة بعيد في المغامرة وفي الخروج عن
اللهو الى الاستهتار :

رَحَلَتْ سُمَيَّةٌ غَدَوَةً أَجْمَالَهَا غَضِبَنِي عَلَيْكَ ، فَمَا تَقُولُ بِدَا لَهَا ؟ (٢)
سَفْهًا وَمَا تَدْرِي سُمَيَّةٌ وَنِيحَهَا أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمَتْ حَبَالَهَا (٣)
وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا (٤)
قَدْ بَتُّ رَائِدَهَا وَشَاةٍ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِلُّ بَعِينَهُ أَغْفَالَهَا (٥)
فَظَلَّتْ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا .
فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ (٦) عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا .
حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا (٧) فَخَلَّتْ لِمُصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا .

(١) النّاشِر : المنشور ، الذي ينهض من القبر (٢) رحلت أجمالها : سافت جمالها وسافرت . ما بدا لها : ما غيرها عن حالها الاولى ؟ (٣) هذا قلة عقل منها . الا تدري كم من فتاة جميلة انا هجرتها ! (٤) مصاب غادية : مكان سقوط المطر من غيمة في الصباح ، نبت نباتها وازهر كأن تجار اليمن فرشوا عليها بضائهم «المختلفة الالوان» وسروج مطاياهم الجميلة الصنع (٥) قصدت هذا المكان وقصدت امرأة رجل غيور لا تغفل عينه عن حراستها (٦) انتهزت غفلة يسيرة منه . شاة : امرأة ، زوجة (٧) كان يحرسها في النهار ولكن غفل عنها في الليل .

٧ - الخمر

كان القول في الخمر في الجاهلية (١) كثيراً ، على انه كان غرضاً من اغراض القصيدة يرد فيها عَرَضاً ، ولم يكن موضوعاً مقصوداً لذاته . وكان يغلب على الشاعر الجاهلي ، اذا ذكر الخمر ، ان يتمدح بشربها وباسقامها للآخرين ، اي ان شرب الخمر كان مظهراً من مظاهر الغنى والكرم ، لقلتها في الجاهلية وغلاء ثمنها . ولا ريب في انها كانت ايضاً مظهراً من مظاهر اللهو .
اما وصف الخمر في الشعر الجاهلي فجاء منشوراً في القصائد المختلفة ، وقل من الشعراء الجاهليين من لم يصفها ، جعلها عمرو بن كاثوم مطلع معلقته :

ألا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (٢)
وكذلك ذكرها طرفة بن العبد وعدّها من اسباب لهوه ولذته :

ولولا ثلاث هن من لذة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودى (٣)
ومثله فعل عنترة مفتخراً بانه يشربها ويسقيها لاصحابه :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم (٤)
وربما توالى الابيات في الخمر تمهيداً يخرج منه الشاعر الى غرض آخر كما فعل المرقش الاصغر ، فقد وصف الخمر ليتخلص من وصفها الى وصف ريق حبيبته :

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها تُعلُّ على الناجود طوراً وتُقدِّح (٥)

ثوت في سباء الدن عشرين حجةً يُطان عليها قرمد وتروح (٦)

سباها رجال من يهود تباعدوا جيلان يدينها الى السوق مريح (٧)

(١) راجع « ابو نواس » للدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٥-١٣ ،
(٢ م ١٩ ، ص ٣١ . ٣) راجع معلقة طرفة في هذه الدراسة (٤) راجع معلقة عنترة في
هذه الدراسة (٥ صهباء : حمراء اللون . الناجود : وعاء للخمر . تعل : تؤخذ قليلاً قليلاً . تقدح :
تغرف (٦ في سباء الدن : اسيرة في الدن . تروح : تبرد . ٧) اتى بها قوم يهود من جيلان « وراء
طبرستان من ارض فارس ، يقصد : من مكان بعيد » لبيعوها بثمن غال .

باطيب من فيها اذا جئت طارقاً من الليل، بل فوها الدُّ وانضح (١)
وينسب لعدي بن زيد ابيات جياذ في الخمر تخالف سائر شعره في ديباجتها :
بكر العاذلون في وضح الصب ح ، يقولون لي : أما تستفيق ؟
ويلومون فيك ، يا ابنة عبد الله ، والقلب عندكم موثوق (٢).
لمست أدري إذا كثروا العذل فيها ؛ أعدو يلومني ام صديق ؟
ودعوا بالصُّبوح يوماً فقامت قينة في يمينها إبريق (٣).
قدمته على عقار كعين الد يك صنئى سلافها الراوق (٤)
مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق .
وطفا فوقها فقايع كاليا قوت حمر يزيناها التصفيق (٥).
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صدى آجن ولا مطروق (٦).

الاعشى

على ان الشاعر الجاهلي الذي وصف الخمر فأكثر واجاد انما هو ابو بصير ميمون ابن قيس المعروف بالاعشى . اكثر الاعشى من وصف الخمر وأتى في وصفها بالمعاني الجامعة المبتكرة بالنسبة الى عصره مع وصف اثر الخمر في الشاربين ومجالس شربها . ولكن وصف الخمر لم يصبح فنا عند الاعشى قائماً بنفسه كما اتفق لابي نؤاس فيما بعد . فمن جيد قول الاعشى في الخمر :

(١) طارقاً : في الليل . انضح : اصفى ، اطيب (الذ ٢) موثوق ، يقصد موثق : مشدود ، مربوط (٣) الصبوح : شرب الخمر صباحاً . القينة : جارية تسمى الخمر وتغني ... (٤) العقار : الخمر السلاف : اجود الخمر . الراوق : المصفاة او خابية توضع فيها الخمر مدة حتى تصفو ويرسب ما فيها من قذري - وضعت الخمر في راوق فجادت (٥) صفق الشراب : سبه من اناه في اناه آخر مرات كثنراً ليصفو (٦) ماء سحاب : مطر . صدى «؟» . آجن : منتن ، فاسد . مطروق : يستقي منه الناس كثيراً ، ولذلك كان عكراً .

وكأس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني أمروء أتيت المميشة من بابها
وشاهدنا الورد واليا سمين والمسمعات بثصابها (١)
ومزمرنا مغمّل دائم فأى الثلاثة أزرى بها (٢)؟
ومن خمريات الاعشى المستجادة قوله :

وصهباء صرف كلون الفصو ص باكرت في الصبح سوارها (٣)
فطوراً قميل بنا مرة وطوراً نعالج إمرارها (٤)
تكاد ننشئ ولما تذوق وتغشي المفاصل إفتارها (٥)
تدب لها فترة في العظام وتغشي الذوائب فوارها (٦)
تمزرتها في بني قابيا وكنت على العلم مختارها (٧)
إذا سمت بانعها حته عنت وأغضبت تجارها (٨)
وبما ينسب الى الاعشى في الخمر ويتسم بخصائصه ابيات له تشبه ان تكون من
الشعر المحدث تأتي فيمالي . والملاحظ ان الاعشى ينظم خمرياته او قصائده التي ترد فيها

١ و ٢) قصاب جمع قاصب : الزامر ، النافع في القصة . فهل في هذه الثلاثة : الزهر « الورد
والياسمين » ثم المغنيات ثم الزامر ما يشين الخمر ؟ (٣) صهباء : خمر . صرف : بلا مزج . الفص : الحجر
الكريم يوضع في الخاتم من « الياقوت الاحمر » . سوار شديد - قمت باكرأ وشربت خمرأ حادة
شديدة الاسكار (٤) مرة تسكرنا ومرة تمنع اسكارها لنا بأكل القل « ؟ » (٥) تكاد تسكرنا قبل ان
ندوقها ثم هي تحمل مفاصلنا خدرة (٦) نشمر باثرها يسير قليلا قليلا في اجسامنا حتى يبلغ العظام ، واذا صبت
في الكأس فارت فتطير رشاشها واصاب ضفائرها « شعرنا » (٧) تمزز الشراب : قمص ، شربه على
مهل . بنو قابيا : المجتمعون لشرب الخمر (٨) اذا ما كنت صاحبها « اردت ان اسقط شيئاً من
التمن « عدني جلفاً وعصب « لانها خمر جيدة تظل رخيصة .هما غلت » .

خمرياته على محور مرقصة بالاضافة الى ما عرفنا في الجاهلية :

- | | |
|--------------------------|----------------------------|
| فقمنا ولمّا يَصِحْ ديكنا | الى خمرية عند جدّادها (١) |
| فقلت له : هذه هاتها | بادماء في جبل مُقتادها (٢) |
| فقام فصبّ لنا قهوة | تسكّنا بعد ارعادها (٣) |
| كميتا تكشّف عن حمرة | اذا صرّحت بعد إزبادها (٤) |
| فجال علينا باريقه | مخضّب كف بفُرصادها (٥) |
| فرحنا تنعمنا نشوة | تخور بنا بعد قصادها (٦) |

(١) الجّدّاد : بائع الخمر (٢) اخترت خابية وقلت له هات هذه بفبارها وكما جاءك بها الذي يجرها
« اشترى الخابية كلها » (٣) قهوة : خمر - الخمر شديدة تضطرب وتجيّش في الاناء والكن اذا
شربناها سكنا لانها تخدرنا (٤) لونها مائل الى الحمرة ، فاذا تلاشى الزبد الذي يطفو على وجهها
ظهرت حمراء (٥) الفرصاد : التوت الشامى . مخضّب كف بفُرصادها : غلام صغير « السن » اذا حمل
اناء الخمر « وكان من زجاج » ظهرت يده كأنها مخضبة بالتوت الشامى « لبياض يده وملاستها ولينها .
(٦) تخور بنا بعد قصادها (؟)

٨ - الوصف

كل الشعر وصف . قال ابن رشيق (١) :

« الشعر الا اقله راجع الى الوصف ، ولا سبيل الى حصره واستقصائه . وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ، ولكنه كثيراً ما يأتي في اضعافه (٢) . والفرق بين الوصف والتشبيه ان هذا (الوصف) إخبار عن حقيقة ، وان ذلك مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثل عياناً للسامع .

ومع الايام تفرع الوصف ابواباً في الشعر فاصبح وصف النساء غزلاً ، ووصف الخمر خمریات ، ووصف الصيد طرُداً . وهكذا اذا قلنا نحن اليوم « الوصف » عنينا الوصف المطلق او وصف الطبيعة بما فيها من حياة : نبات وحيوان او من موات كالجبال والانهار والنجوم والادوية والثياب والهياكل وما سوى ذلك .

واذا نحن اعتبرنا قول ابن رشيق في التفريق بين التشبيه والوصف اصبح الوصف في الشعر كله قليلاً وخصوصاً في العصر الجاهلي ، اذ ان اكثر ما نسميه وصفاً داخل في باب التشبيه . واشهر الشعراء الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس والنابغة وطرفة .

واشتهر من اوصاف الجاهليين وصف الاطلال ووصف الناقة والفرس ووصف الوادي ووصف الصيد والنهر والليل والمطر ولكن على قله ايضاً . ويبدو لنا بوضوح ان الوصف فن حضري في الاكثر ، لان البيئة الحضرية اكثر اختلافاً من البيئة البدوية ولذلك كان مجال التفتن فيها اوسع . ومن اشهر الشعراء الجاهليين الذين كثر الوصف في شعرهم امرؤ القيس والنابغة ، وسيأتي الكلام عليهما وعلى اوصافها في ترجمتهما .

شكل القصيدة الجاهلية :

إذا رجعنا الى القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الاخص ، رأينا ان الشعراء يسرون فيها على نهج مخصوص: يبدأون عادة بذكر الاطلاق «وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر» ثم بذكر الحبيبة، ثم ينتقل احدهم الى وصف الراحلة ثم الى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص الى المديح مثلاً او الفخر (اذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) . وقد يعود الشاعر الى الحبيبة ثم الى الخمر . وبعدئذ ينتهي بالحماسة (او الفخر) او بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) او من الوصف (كما عند امرئ القيس) .

ومجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس ، والحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة)

هذا في المعلقة . اما في سائر القصائد الجاهلية فالامر يختلف احياناً اختلافاً ظاهراً . هنالك مقطعات في الادب او الوصف او الحماسة مستقلة بنفسها . وهنالك ايضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عروة بن الورد:

اقلني علي اللوم يا ابنة منذر
ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهرى
فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة وموضوع واحد ، هي ان امرأة الشاعر تلومه لأن رزقه قليل ، فيبدي هو لها عذره ويقول لها انه يود الا يطلب الغنى اذا كان في الغنى مذلة له .

الشعراء الخمسة

سنتناول الكلام في هذه الدراسة على خمسة من شعراء الجاهلية اصحاب المعلقة مع ذكر معلقاتهم كاملة قدر الامكان وشيء من سائر شعر النابغة .

امروء القيس بن حجر الكندي

توفي نحو عام ٨٢ قبل الهجرة ، ٥٤٠ م

قومه واسرته :

يرقى نسب 'حندج بن حجر' ، المعروف بلقبه : امرئ القيس ، الى بني كندة من اليمن . وكان جدّه الاعلى 'حجر' آكل المرار اول ملوك كندة فيما قيل . وفي اوائل النصف الاول من القرن الخامس للميلاد زاد ضعف بعض القبائل في شمالي بلاد العرب فاستطاع الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ان يتغلب عليها ثم ملك على بني اسد وبني غطفان (عبس وذبيان) وبكر بن وائل وغيرهم . ونحو عام ١٢٢ ق . هـ (٥٠٠ م) قسم الحارث القبائل التي يحكمها بين اولاده فأعطى 'حجرأ' (والد امرئ القيس) الحكم على بني اسد في نجد .

حياته الاولى :

امروء القيس بمبي الدار ولكنه نزاري المنشأ . نشأ في نجد اميراً وألف التنقل في احياء العرب مع نفر من اصحابه واترا به للصيد واللهو ، ولعله فعل ذلك لانه كان اصغر اخوته ولم يكن يطمع في نيل الملك بعد ابيه . ويدكرون ان اياه طرده من بيته لانه كان يقول الشعر ولانه كان ميالا الى القصف والفسق . على ان اهتمامه فيما بعد باخذ ثأر ابيه واعادة الملك الى اسرته ينفي ان يكون امرؤ القيس خليعاً ماجناً فاسداً كما تصوره بعض الروايات الادبية ، مع ان لهو الامراء امر غير مستغرب لا في الجاهلية ولا في غيرها .

مقتل حجر :

ويظهر انه بُعيد عام ٩٢ ق . هـ (٥٣٠ م) عاد شيء من القوة الى بني أسد فأبوا ان يستقر حكم حجر الكندي اليمني عليهم واعلنوا إباءهم هذا بالامتناع عن أداء الاموال (الضرائب) واستعدوا للقتال فيما لو احتاجوا اليه . فلما أبى بنو أسد دفع الاموال اساء حجر اليهم فقتل نفراً من رؤسائهم وشرّد قسماً منهم عن نجد الى تهامة (على ساحل البحر الاحمر) ، ولكنه عاد ففعا عنهم لما استشفعه شاعرهم عبيد بن الابرص . فلما رجع المشرّدون (بعد بضعة ايام) انضموا الى اخوانهم وحاربوا حجراً بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . ولا ريب في ان ابناء حجر كانوا معه في المعركة وفروا ، ولعل امرأ القيس نفسه كان في المعركة ايضاً ثم فر لقول عبيد بن الابرص يخاطبه :

* ولقد أبجنا ما حميت ولا مبيح لما حمينا

هذا ولو قدرت علي لك رماح قومي ما انتهينا (١)

* ورخصك لولاه لقيت الذي لقوا فذاك الذي انجأك مما هنالك .

اما الروايات التي تذكر ان امرأ القيس كان يشرب الخمر بدمون ثم جاءه نعي أبيه فليست تتسق والشرط الثاني من حياته ولا تتفق مع اقوال عبيد بن الابرص معاصر امرئ القيس .

حياته بعد مقتل ابيه :

عزم امرؤ القيس على الاخذ بثأر ابيه فجعل يطوف في احياء العرب يطلب مساعدتهم ، فأبوا ان يعينوه . فالتجأ الى اخويه شرحبيل وسلمة - وكان ابوهما حجراً قد ولاهما على بكر وتغلب - فأعظياه قوماً يدرك بهم بعض ثأره . تتبع امرؤ القيس اثر بني أسد وقاتلهم يوماً او بعض يوم ولكنه لم يظفر عليهم . واعتقد من معه انه بقتل نفر من بني أسد قد اخذ بثأر ابيه فرجعوا عنه ولم يرضوا ان يخوضوا معه معارك جديدة .

(١) ما انتهين : لم تنته الرماح عن ان تصل اليك وتقتلك .

وخرج امرؤ القيس يطلب النجدة من اليمن (من موطنه الاول)، فلم يظفر
 إلا بخمسمائة رجل حارب بهم بني اسد من جديد، ولكن ذلك لم يكن كافياً لاعادة
 الملك الى أسرته. وظل امرؤ القيس يطلب الجيوش والمساعدة من هنا ومن هنالك
 فيخيب، او يتعرض لعداوة الامراء الطامعين في ملك ابيه فينجو منهم بشق النفس
 حتى عام ٨٤ ق . هـ (٥٣٨ م) فعزم على المسير الى القسطنطينية بعد ان حمل من
 الحارث بن ابي شمر الغساني كتاب توصية الى القيصر يوستينيانوس الاول ٥٢٧ -
 ٥٦٥ م) المشهور واضع القانون الروماني وصاحب المعارك مع الفرس . ولقد
 اراد يوستينيانوس - فيما قيل - ان يساعد امرأ القيس استغلالاً لجهوده وجهود
 قومه في سبيل مقاومة الفرس ونفوذهم في بلاد العرب وعلى حدود بلاد العرب .
 الا ان البرابرة كانوا في ذلك الحين ينحدرون من شمالي اوروبة على جنوبها وجنوبها
 الشرقي على الاخص ويهدمون مدينها ويحتلون اقطارها، فلم يقدر يوستينيانوس ان
 يغزر بجيش كبير، لحاجته اليه، ولا بجيش صغير لا فائدة منه . فرجع امرؤ القيس
 من القسطنطينية خائباً ايضاً حوالي عام ٨٢ ق . هـ (٥٤٠ م) في الشتاء على الاغلب .
 فلما وصل الى قرب انقرة أصيب بالجُدريّ فيما يُظن فتوفي هنالك .

اما ان امرأ القيس تغزل بابنة يوستينيانوس واتصل بها فخيّبه ابوها من اجل
 ذلك فرواية لا قيمة لتنتائجها اذا علمنا فساد البلاط البوزنطي في ذلك الحين . واما
 ان رجلاً اسمه الطماح وشى به لقيصر فرواية اخرى . ويجدر بنا ان نعلم ان «الطماح»
 ليس اسماً علماً على شخص في الاغلب ، بل صيغة مبالغة من «طمح» ، وهو كناية
 عن رجل عدو لا مريء القيس .

شعره :

يقدم النقاد امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية خاصة وعلى الشعراء جميعهم عامة
 ويحتجون لذلك بانه اول من وقف على الاطلال واول من شبه النساء بالظباء
 والحيل بالعقبان ... وانه اول من وصف الليل وقيد الاوابد في قوله : «بمنجرد
 (بحصان) قيد الاوابد هيكل» لأن الاوابد حيوانات متوحشة لا تقيد ... اي
 نظم في الصيد .

والحق ان امرأ القيس ليس اقدم الشعراء بل هنالك نفر معاصرون له او سابقون عليه نعرفهم باسمائهم فقط اضياع شعرهم او نعرف اشعارهم ايضاً . ولكن امرأ القيس نال شهرة عند النقاد والرواة لما في ثنايا حياته من المغامرات في الحب والسفر والقتال ، فغطت شهرته على معاصريه وعلى اسلافه في الشعر . على اننا لو رجعنا البصر في ديوانه لتبين لنا ان فيه خصائص ذاتية تميز امرأ القيس من اقرانه وانداده . فاذا تجاوزنا الخصائص العامة التي امتاز بها الشعر الجاهلي عامة ، على ما مر بك في الفصل الاول ، ادركت ان امرأ القيس :

(١) شاعر واسع الخيال - يعرض امرؤ القيس لحديث 'عزيزة مثلاً فيستخرج منه قصة عذبة التلاوة جيدة الاتساق غريبة النتائج ، او لحديث الصيد فيجعل منه قصة تامة . ثم ان امرأ القيس تدرس بالاسفار وتقلب في النعيم ففتق ذاك قريحته عن اخيصة جديدة في كل فن طرّقه ، وساعده ذلك على الاجادة وعلى بروز العنصر الشخصي في شعره ، وخصوصاً في الوصف .

(٢) شاعر مرح - فهو شاعر يفيض باصناف السرور والوان الفرح فيستهوي النفوس ويجتذبها . والبشر عموماً اميل الى الرجل الطروب منهم الى الرجل الحزين .

(٣) شاعر وجداني خالص - وزاد في رغبة الناس في شعر امرئ القيس انه خال من المنافسات ومن الهجاء والمديح وانه مملوء بالنسيب والغزل والوصاف وذكر المغامرات مما يقربه الى النفس الانسانية في كل عصر . ان اللذة الناتجة من مطالعة المدائح والاهاجي - بما هي مدائح واهاج - تموت مع ذهاب المناسبات الخاصة ، واما حديث الغزل واما الوصف واما المغامرات الكبرى في حياة الانسان فتظل حية في نفوس الاجيال . ومن اجل ذلك فضل الناس امرأ القيس على غيره .

فنونه :

يختلف ديوان امرئ القيس من دواوين كثيرين من الشعراء في انه لا ينطوي على جميع فنون الشعر ، فالمديح والهجاء فيه مفقودان لان مقام امرئ القيس في الملك رفعه عن ان يمدح احداً او ان يهجوّه . ولكننا نرى له ابيات شكر مثلاً او

أبيات ذم قالها في أناس ساعدوه على الطلب بدم أبيه أو رفضوا مساعدته، كشكره
بني عوف لأن سيدهم عويزاً قد حمى أهل حِجر وأبلغهم ما منهم في نجران . فقال
امرؤ القيس فيه وفي قومه :

ثياب بني عوف طهاري نقيّةٌ وأوجههم عند المشاهد غرّانُ

همُ بلّغوا الحيّ المضلّالَ أهله وساروا بهم بين العراق ونجرانِ
فقد أصبحوا، والله أصفاهمُ به، أبرُّ بأيمان وأوفى بجيران .

والفرق بين الشكر والمديح أن الشاكر يُثني على المشكور بعد أن يكون
المشكور قد أسدى إليه بعض المعروف . أما المدح فهو أن يُثني المادح على المدوح
طمعاً بكسب وانتظاراً لمعروف . وكذلك شكر امرؤ القيس بني التميم رهط الهُملّ،
وشكر سعد بن الضباب .

وكذلك ليس في ديوان امرئ القيس رثاء بالمعنى المتعارف بين الشعراء إلا إذا
اعتبرنا رثاءه لآخوته الذين قتلهم المنذر بن ماء السماء في ديار بني مرّينا قرب
الكوفة ، وفيهم يقول :

ألا يا عينُ بكّي لي شنيناً وبكّي لي الملوكَ الذاهبين :
ملوكاً من بني حِجر بن عمرو يُساقون الشِيةَ يُقتلونا .
فلو في يوم معركة أصيبوا ، ولكن في ديار بني مرّينا .

أما ما يُلَفِتُ النظر خاصة في ديوان امرئ القيس فهو وصف المرأة (النسيب
والغزل والمجون) ووصف الطبيعة . وله وصف قليل في الخمر وأبيات معدودات
في الحكم والفخر وغيره :

* وقد طوّفتُ بالآفاق حتى رَضِيتَ من الغنِمةِ بالإياب .

*بكى صاحبي لما رأى الدرب (١) دونه وأيقن أن لا حقان بقيصراً
فقلت له لا تبك عينك ، إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدداً !

اللهو : يوم دارة جلجل :

كان امرؤ القيس اميراً وشاباً مولعاً باللهو يخرج الى الصيد طلباً للمتعة واللذة
ويشرب الخمر متنقلاً مع رفاقه من الشبان، ويتبع النساء حباً بحديثهن وباللهو معهن .
واسهر حوادث لهو حديث دارة جلجل المذكور في المعلقة :

سمع امرؤ القيس يوماً بان ابنة عمه فاطمة (عنيزة) قد ذهبت الى دارة جلجل
مع صواحب لها ليبتردن (يغتسلن بالماء البارد) . سار امرؤ القيس الى دارة جلجل
فأدرك ابنة عمه وصواحبها في الماء فجمع ثيابهن وجلس عليها ثم قال لمن : لن اعطي
احداً كن ثيابها الا اذا خرجت هي (عارية) واخذتها مني .

وامسى المساء على العذارى فخفن البود والتأخر عن اهلهن فبدأت يخرجن
واحدة واحدة امام امرئ القيس وتأخذن ثيابهن . وبقيت عنيزة لا تريد ان تفعل
ذلك . ولكن سرعان ما ادركت ان امرؤ القيس لن يرجع عن عزمه فخرجت
اليه واخذت منه ثيابها .

حينئذ قام امرؤ القيس الى ناقته وذبحها للعذارى فاكلن . ولما حان وقت
الرجوع ولم يكن مع امرئ القيس ناقة يركبها اختار ان يركب مع عنيزة في
هودجها . وفي المعلقة حديث ذلك كله وخصوصاً بعد ان ترك الجميع دارة جلجل .

الوصف :

يكثر الوصف في شعر امرئ القيس وخصوصاً وصف الطبيعة لكثرة اسفار
امرئ القيس ولانه في الاصل شاعر حضري ولكن يعيش في البادية . ويجيد امرؤ
القيس وصف البرق والسيل ووصف الليل والحيل والصيد ...
واكثر النماذج على وصف امرئ القيس موجودة في معلقته .

(١) مضيق يبلان ، الامر الوحيد بين سورية وآسية الصغرى .

معلقة امرئ القيس (١)

ان غرض امرئ القيس الرئيسي من نظم المعلقة كان ذكر حبه لابنة عمه ، وهو يُكني عنها مرة بُعْنِيزَة ومرة بفاطمة ، ويذكر يوم دارة جابل . وفي اثناء ذلك كله يعرض الشاعر لاغراض مختلفة :

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبَ وَمَنْزِلِ بِسِطِّ الْمَلُوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَيَحْوِمَلْ ،
فَتُوضَحَ فَالْمِقْرَآةِ لَمْ يَغْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ (٢)
تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْقُلِ (٣)
كَأَنِّي غَدَاةَ الْيَمِينِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٍ حَنْظَلِ (٤)
وَقَوْفًا بِهَا صَخْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ (٥) يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ !
وَأَنْ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ، فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلِ (٦) ؟
كَدَأْبِكَ (٧) مِنْ أُمِّ الْحَوِيثِ قَبْلَهَا ، وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ ،
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنَقُلِ .

(١) ان من يتناول هذه الدراسة يجب ان يكون قد بلغ في اللغة والادب مبلغ من يعرف اكثر مفردات المعلقات ، من اجل ذلك سنكتفي بالضروري من الشرح وسنضرب عن شرح اسماء الامكنة والاشخاص لقلة الجدوى من ذلك .

(٢) الجنوب والشمال : ريح الجنوب والشمال . نسجته : نشرت الرمل - ان الريح تأتي مرة من الجنوب فتغطي الطلل ، وتأتي مرة من الشمال فتكشف عنه الرمل ، ولذلك لايزال هذا الطلل محفوظا .
(٣) الآرام جمع رثم : الظلي الابيض . العرصة : الساحة . القاع : مستنقع الماء . الفلقل : ثمر نبات صغير مستدير « غير الغليظة عندنا » (٤) - في اليوم التالي لارتحالهم وقفت تحت شجرات هناك اتأمل اماكنهم المهجورة وانا ابكي « الذي يكسر الحنظل تعرض عيناه للغاز المتصاعد منه فيدمعان » (٥) ان رفاقي زجروا مطاياهم فوقفت عن المسير ثم جعلوا يلوموني . مطيهم مفعول به من المصدر « وقوفاً »
(٦) انني اشفي نفسي بيبكائي ، ولكن ما فائدة البكاء عند الآثار الموحية ؟ (٧) هادتك

ففاضت دموع العين مني صَبَابَةً
 على النحر، حتى بَلَ دمعِي بِمَحَلِّي (١)
 ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهن صالح ،
 ولا سيما يومِ بدارَةِ جُلُجُل .
 ويومَ عقرت للعذارى مطيَّتي ،
 فظَلُّ العذارى يرمين بلحِمْهَا (٢)
 ويومَ دخلت الحدرَ خدرَ عَنِيزَةٍ ،
 تقول، وقد مالَ الغبيط (٥) بنا معاً :
 فقلت لها : سيري وأرخي زِمَامَهُ ،
 أفاطمَ ، مهلاً ، بعضَ هذا التدلل ،

وان كنت قد ازمنت صرْمِي فأَجْمَلِي (٧)
 وان تكُ قد ساءتكَ مني خَلِيقَةٌ
 فسُلي ثِيَابِي من ثِيَابِكَ تَنْسُلُ (٨)
 أغرِّكَ مني انْ حَبَّكَ قَاتِلِي ؛
 وما ذرفت عيناك إلا لتضري
 وببيضة خدرٍ لا يُرامُ خباؤها
 وبسهميك في اعشارِ قلبٍ مُتَنَلِّ (٩)
 وتَمَّتْ من لُهو بها غيرَ مُعْجَلٍ (١٠) ،

(١) الصبابة : الحب . النحر : أعلى الصدر . يحل : سير « من جلد » يحمل به السيف (٢) اعجب كيف ان الناقة التي حملتني في الحبيء يحمل سرجها الان على ناقة اخرى « لانه ذبحها » (٣) يرمين : يناول بعضهم بعضاً . الهداب جمع هذب : الخيوط المتدللة من اطراف بعض المنسوجات . الدمقس : الحرير الابيض .
 (٤) الحدر الهودج ، مرجلي : ابي ستضطرني الى ان انزل وامشي على رجلي (٥) الهودج (٦) الزمام : اللجام . جنائك المعلن : قبلاتك التي يستشفني بها (٧) بكفيك بعض هذا الدلال علي ، وان كنت تحبين فرافي ففارقيني بالمعروف (٨) واذا كنت لا ترضين اخلاقي « ومعاملتني لك » فافصلي ثيابك عن ثيابي « اي اتركيه » (٩) لقد بكيت حتى تكسري قلبي الوهان بك (١٠) بيضة خدر : مصونة . لا ينال خباؤها : لا يمكن الوصول اليه . غير معجل : على مهل .

- تجاوزت احراساً اليها ومعشراً
 اذا ما الثريا في السماء تعرضت
 فجئت ، وقد نصت لنوم ثيابها
 فقالت : يمين الله ، ما لك حيلة ،
 خرجت بها أمشي ، تجر وراءنا
 فلما أجزنا ساحة الحي ، وأنتحي
 هصرت بفودي رأسها ، فتأملت
 مهففة بيضاء غير مفاضة ،
 تصد وتبدي عن أسيل ، وتتقي
 وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ،
- علي حراساً ، لويسرون مقتلي (١) .
 تعرض أثناء الوشاح المفصل (٢) .
 لدى الستر إلا لبسة المتفضل (٣) .
 وما إن أرى عنك الغواية تنجلي !
 على أثرينا ذيل مرط مرحل (٤) .
 بنا بطن خبت ذي حفاف عمقل (٥) ،
 علي هضم الكشح رياء المخال (٦) ،
 ترائبها مصقولة كالسجنجل (٧) .
 بناظرة من وحش وجرة مطفل (٨) .
 إذا هي نصته ، ولا بمعطل (٩) .

(١) قطعت في الوصول اليها حراساً واناساً يريدون ان يقولوني « اغيظهم مني » لو كانوا يستطيعون الا يدعوا احداً يدري بذلك (٢) الثريا عنقود نجوم . الوشاح : ما تلقيه المرأة عـ . لي كتيها . المفصل : المزخرف بالحجارة الكريمة - ويكون تعرض الثريا في كبد الداء في اول فصل الشتاء وهذا ما يفسر لنا شكوى الشاعر من طول الليل ووصفه المطر الشديد والبرق ... (٣) نصت : خلعت . الستر : ستار تنام المرأة خلفه . المتفضل : الذي يلبس ثوباً واحداً خفيفاً للنوم او للعمل .
 (٤) مرط : ثوب حرير . مرحل : فيه وشي وصور - جل الشاعر حبيته بين يديه ولكنه ترك ذيل ثوبها يحرق على الارض ليمحو آثار اقدمه (٥) حتى اصبح بيننا وبين الحي آكام مرتفعة متعرجة متداخلة (٦) هصر : جذب . الفود : جانب الرأس . هضم الكشح : ضامر الحصر . رياء المخال : لينة حيث تلبس المخال عند ادنى سابقا (٧) مهففة : خفيفة اللحم . مفاضة : مسترخية الجلد او العضل . ترائب جمع تريبة : جانب صدر المرأة . السجنجل : المرأة (٨) تصد وتبدي : تعرض عفا وتلفت اليها . أسيل : « خد » طويل . ناظرة : عين . مطفل : ذات طفل - تنظر شزراً كما تنظر ام الوحش الى الذين تخافهم على اولادها (٩) جيد : عنق . فاحش : كربه المنظر « او كثير الطول » . نص : رفع . معطل : خال من الحلى .

وَفَرَعِ يَزِينِ الْمَتْنَ أَشْرَدَ فَاحِمٍ
غَدَاثُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا
وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مَخْضَرٍ ،
وَتَضْحِي فَتَيْتُ الْمَسْكُ فَوْقَ فَرَاشِهَا ،
وَتَعْلُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ
تُضِي ۚ الظَّلَامُ بِالْعِشَاءِ كَأَنهَا
إِلَى مِثْلِهَا يَزْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً
كَيْكِرُ الْمُقَاتَاةِ الْبَيَاضِ بِصَفْرَةٍ
تَسَلَّتْ عَمَائَاتُ (٩) الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا
أَلَا رَبُّ خَصْمٍ فَيْكَ أَلْوَى ، رَدَدْتُه ؛
وَأَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخٍ سُدُوكَ

أَيْثُ كَفَنُوا النُّخْلَةَ الْمُتَعَشِّكِلَ (١)
تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مِثْنٍ وَمُرْسَلٍ (٢)
وَسَاقُ كَأَنْبُوبِ السَّقِي الْمَذَلِّ (٣)
نَوْومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ (٤)
أَسَارِيعُ ظِيٍّ أَوْ مَسَاوِيكِ إِسْحَلِ (٥)
مَنَارَةٌ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ (٦)
إِذَا مَا اسْبَكُرْتَ بَيْنَ دِرْعٍ وَبِجُولِ (٧)
غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ الْمُحَلَّلِ (٨)
وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاكَ بِمُنْسَلٍ !
نَصِيحٌ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مَوْ تَلِ (١٠)
عَلَيَّ لَأَنْوَاعِ الْمَحْمُومِ لِيَبْتَلِي (١١) ،

(١) فرع : شعر . المتن : الظهر . أيت : كيف . قنو : العنق الذي ينمو عليه الرطب والتمر .
المتشكل : المتداخل بعضه في بعض (٢) مستشزر : مرتفع . العقاص : الأمشاط . متني ومرسل :
مجدول وغير مجدول (٣) أنبوب السقي المذل : ساق البردي «قصب الماء» (الين ٤) نؤوم الضحى :
تمام حتى يرتفع النهار . تنتطق : تلبس أزار العمل ، منعمة لا تخدم نفسها (٥) عطا : مد . رخص :
«أصابع» لينة . شتن : غليظة . أساريغ : دود أبيض أحمر الرأس ، «إشارة إلى أن أظافرها معنمة
أي ملونة بالحمرة» ، ظي : اسم مكان . المسواك : قطعة من غصن «يستاك» تنظف الأسنان بها .
إسحل : نوع من الشجر .

(٦) ممسى : ميت . المتبتل : المنفرد عن الناس والمتعبد (٧) رنا : إدام الظهر . الحليم : ذو الحلم
«العقل» ، اسبكرت : استقامت في مشيتها ، درع وبجول : ثوبان للمرأة والفتاة - يقصد أن محبوبة
ليست صغيرة السن ولا كبيرة السن (٨) لونها أبيض تخالطه صفرة «وهذا من شروط الجمال» مثل
بيض النعام . غير : صاف ، محلل : ينزل عليه أناس كثيرون (٩) العماية : الجهالة (١٠) ألوى : شديد .
نصيح على تعداله : مشتد في لومه أي . مؤتل : مقصر - رب خصم يلومني فيك كثيراً ، فإذا وصفك
إمامه عاد عن لومه أي (١١) كموج البحر : مضطرب . سدول : سائر . ابتلاه : اختبره وجربه .

فقلت له ، لما تَمَلَّى بَصْلِهِ
ألا ايها الليل الطويلُ ألا أنجلي
فيا لك من ليل كأن نجومه
كأن الثريا عُلِّت في مصامها
[وقربة اقوام جملة عصامها
وواد كجوف العير قفر قطعته ،
فقلت له ، لما عوى : إن شأننا
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ،
وقد اغتدي ، والطير في وكناتها ،
مكرٌ مفرٌ مُقبلٌ مُدبرٌ معاً ،
كجلمود صخر حمله السيل من عل (١٠) ،
وأردف أعجازاً وناءً بكل كل (١) :
بصبح ، وما إلا صباح منك بامثل (٢) !
بكل مغار النمل شُدَّتْ بيدُ بل (٣) .
بأمراس كتان ألى صم جندل (٤) .
على كاهل مني ذلول مُرحل (٥) .
به الذئب يعوي كالخليع المَعِيل (٦) ،
قليل الغنى ، ان كنت لما تمول (٧) .
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٨) .
بمنجرد قيد الاوابد هيكل (٩) ،
كجلمود صخر حمله السيل من عل (١٠) ،

(١) تَمَلَّى بَصْلِهِ : مد ظهره . الأعجاز : جمع عَجَز « يفتح العين وضم الجيم » : مؤخر الجسم .
الكلكل : الصدر - يشبه نزول الليل ببروك البعير يسقط أولاً على يديه ثم يثبت عجزه على الأرض .
وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الأرض - يقصدان الليل يأتي ببطء (٢) أنجلي الليل : ذهب . امثل :
احسن (٣) مغار الفتل : محكم الفتل . يذبل اسم جبل - كأن النجوم مربوطة بحبال فهي لا تتحرك
من أماكنها ، إشارة الى طول الليل .

(٤) في مصامها : في موضعها . صم جندل : حجارة صلبة (٥) كم حملت لرفاقي قربة الماء على كتفي .
ذلول مرحل : مموذ الحمل كثيراً . العصام : الرباط أو الحبل (٦) جوف العير : بطن الحمار ، أي
لا فائده منه . وقيل هو اسم واد . الخليع : الذي خلعه « طرده » أهله . المعيل : صاحب العيال .
(٧) الغنى : الفائدة . تمول : تكسب مالاً (٨) يحترث : يعمل « مثلي ومثلك » . يهزل : يصبح هزيباً
ويقال ان هذه البيوت الاربعة ابست لامرئ القيس (٩) اغتدي : خرج في الصباح . الوكنة :
وكر الطائر . منجرد : « حصان » قليل الشعر . قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به .
هيكل : عظيم الجسم ، (١٠) مكر مفر : كثير الهجوم والرجوع . مقبل مدبر : حسن الركض
ذاها وآيا ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع .

- كُمَيْتٍ يَزِلُّ الْيَدُ عَنْ حَالٍ مَتْنَهُ
 عَلَى الذَّبْلِ جِيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتِ عَلَى الْوَنَى
 يُزِلُّ الْغَلَامَ الْخَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ
 دَرِيرٌ كَخَذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ
 لَهُ أَيُّطَلَا ظِيٍّ وَسَاقَا نِعَامَةٍ
 ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ سَدٌّ فَرَجَهُ
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ
- كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ (١)
 إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غُلِيٍّ مِرْجَلِ (٢)
 أَثَرْنَ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ (٣)
 وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ (٤)
 تَتَابَعُ كَفِّيهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٥)
 وَإِرْخَاءِ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبِ تَنْثُلِ (٦)
 بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٧)
 مَدَّ الْكَعْرُوسِ أَوْ صَالِيَةِ حَنْظَلِ (٨)
 عُصَاةٌ حِنَاءٌ بِشَيْبِ مُرْجَلِ (٩)

(١) كُمَيْت : أحمر مائل إلى السواد . حال مَتْنُهُ : أعلى ظهره . الصَّفْوَاء : المنتزل . المنزل : المطر -
 أن ظهر الحصان للاسته ينزلق عنه السرج (٢) الذَّبِل : الهزال . جِيَّاش : كثير الضجج «صوت بطن الحصان» .
 اهْتِزَامُهُ : ضججه . حَمِيهِ : غليته «اشتداد سرعته» . مِرْجَل : قدر عظيمة (٣) مَسَحَ : يركض بانطلاق
 وسهولة . السَّابِحَات : جياذ الخيل ، الوَنَى : الفتور والتعب . الكَدِيدِ المُرْكَل : الأرض الصلبة - إذا
 تعبت الجياذ الاصلبة من الجري وجمعت تضرب بقوائها الأرض من غير أن تسرع في جريها ، فإن
 هذا الحصان يظل يجري بالسرعة التي كان يجري بها من قبل (٤) سرعة هذا الحصان تجعل الغلام
 الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع ، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن أطراف أثوابه
 ترتفع في الهواء (٥) درير : شديد الجري . الخَذَرُوف : لعبة تتألف من جسم صغير مستدير له عنق يلف
 عليه خيط وفي العنق حاقلة يسلك بها الوايد «الصبي» ويجذب الخيط فتدور بسرعة ويسمع لها صوت .
 موصل : مؤلف من قطع موصول ما بينها بعقد (٦) ايطل : خصر . ارخاء : الجري السهل . سرحان :
 ذئب . تقريْب : جري برفع اليدين معاً «قفزاً» . تنقل : ولد الثعلب - يصف فرسه بأحسن ما
 في هذه الحيوانات (٧) ضليع : عظيم الصدر «متسع الاضلاع» ، إذا رايت من خلفه رايت ذيله يسد ما
 بين فخذه ثم يطول حتى يصل إلى ما فوق الأرض بقليل . اعزل : مائل ، والعرب تحب ذئب الفرس
 إذا كان مستقيماً غير مائل (٨) المتنان : جانبا الظهر . مدك : حجر يسحق عليه الطيب . الصلابة : صخر
 يسحق عليه الحنظل - يقصد أن ظهر الفرس شديد الملاسة (٩) الهاديات : الحيوانات التي تسير على
 رأس قطيعها . مرجل : مخطط . يقول أن هذا الفرس يسرع كثيراً حتى يلحق بالحيوانات النافرة
 أمام القطيع الهارب ، فإذا طعنها ونفر الدم منها تلقى هذا الفرس الدم «لسرعة سيره» بنحره ، فيختلط
 هذا الدم الأحمر بالزبد «الابيض» الذي تطاير من فم الحصان إلى صدره .

- فمن لنا سرب كأن نعالجه
فأدبرن ، كالجزع المفصل بينه ،
فألحقنا بالهاديات ، ودونه
فعادي عداً بين ثور ونعجة
فظل طهارة اللحم : من بين منضج
ورحناً يكاد الطرف يقصر دونه ،
فبات عليه سرجه وجامه ،
أصاح ترى برقاً أريك وميضه
يضيئ سناه او مصابيح راهب
قعدت له وصحبتي بين ضارج
على قطن ، بالشيم ، أين صوبه ،
- عذارى دوار في ملاء مذبل (١) .
يجيد معي في الشيرة مخول (٢) .
جواحرها في صرة لم تريل (٣) .
دراكا ، ولم ينضح بما فيغسل (٤) .
صيف شواء ، او قدير مجل (٥) .
متى ما ترق العين فيه تسهل (٦) .
وبات بعيني قنماً غير مرسل (٧) .
كلمع اليدين في حيي مكال (٨) ،
أمال السايط بالذبال المقتل (٩) ،
وبين العذيب ، بعد ما متأمل (١٠) .
وأيسره على الستار فيذبل (١١) .

(١) عن : ظهر . سرب : قطع . دوار : قبل صنما يدار حوله . ملاء : ثوب . مذبل : لغزيل
« بلدون آخر » - يشبه بقرة الوحش وهي بيض الظهر وسود القوائم بأنسات يلبس اثواباً بيض الاعالي
سود الذبول (٢) الجزع المفصل : الخرز المتعاقب في سلكه ابيض فاسود او فصل بين خرزانة بقطع
ذهب . معم مخول : ذو اعمام واخوال معروفين « اصل » (٣) دونه : وراءه . جواحر : المتخلفات
عن القطيع . صرة : صباح او غبار . تريل : تفارق مكانها « بعد » (٤) عادي . والى في الركض
بينهما « والمراد بين كثير منها » الثور : ذكر بقرة الوحش . النجعة : انثاء . دراك : تباعا . لم
ينضح بما فيغسل : لم يعرق كثيراً (٥) صيف شواء : الذي يشوي اللحم . قدير : الذي يطبخ اللحم
في القدر (٦) ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطاً راغماً راسه حتى ان العين تنب من التطلع
الى راسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطررت الى ان تخفضه وشبكاً (٧) بعيني : قريباً مني - وظل
الفرس مسرجاً ملجماً واقفاً قرب خيمتي غير مرسل الى المرعي « استعداداً لركوبه اذا فاجأ تناغرة » .
٨ ' وميض : لمعان . حيي مكال : غيم متراكم . لمع اليدين : حركتهما « كناية عن السرعة لحاطفة »
(٩) السايط : الزيت . الذبول : الفتيلة - لمعان ضيف « لبعده » يشبه قنديل الراهب الذي اوشك زيته
ان ينضب فاماله الراهب حتى يجمع الزيت في طرفه فأخذ منه الفتيلة (١٠) بعد ما متأمل : ما ابد ما
اتأمله « ما ابدته عني » (١١) قطن والسنار ويذبل اسماء جبال . الشيم : الظفر . صوبه : هطوله
- هذا السحاب يحطر على مساحة واسعة .

فَأَضْحَى تَسْجُ الْمَاءِ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَتْهَيْلِ (١)
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مَعَهُ الْعَصَمَ مِنْهُ كُلَّ مَنْزِلِ (٢).
وَتَبَاءً لَمْ يَتْرِكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْطَاءً إِلَّا مَشِيداً يَجْنَدِلُ (٣).
كَانَ ثَبِيرًا فِي عِرَانَيْنِ وَبَلَه كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِيَادِ مُزْمَلِ (٤).
كَانَ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالْغَنَاءِ فَلَاكَةً مَغْزَلِ (٥)
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَمَاعَهُ نَزَلَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ (٦)
كَانَ مَكَكِيَّ الْجَوَاءِ غُدْيَةً صَبَحْنَ سُلَاقًا مِنْ رَحِيقِ مُقْلَفِلِ (٧)
كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً بَارِجَانَهُ الْقُصُوءَى، أَنَابِيشَ عُصْلِ (٨)

(١) كتيفة اسم مكان في الجبل . يكب : يرمي . الاذقان : الوجوه . الدوح : الشجر العظيم .
«الكتهيل : نوع من عظام الشجر - ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار ارضا (٢) القنان :
اسم جبل . نفْيَانِه : رذاذه . العصم : جمع اعصم : نوع من الظباء تألف الجبال - كان هذا المطر شديداً
حتى ان بعض ما انهمر منه على جبل القنان اضطر جميع ما فيه من الظباء ان تنزل منه (٣) تباه : قرية
«مدينة» من امهات القرى . اطلم : حصن . مشيد يجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة - ان السيل
جرف الاشجار والبيوت الا ما كان منها حصونا مبنية بالصخور (٤) ثبير : اسم جبل . عرانيين وبله :
طغيان مطره . البجاد : ثوب مخطط ابيض فاسود . زممل : ملتف ، وهي مجرورة على المجاورة
« لان الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة » وحقها الرفع لانها نعت لكبير - يشبه الجبل بعد ان سال
عليه المطر في اماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء ابيض والذي لا يسيل
فيه الماء اسود ، وذلك لان البجاد من لباس كبار القوم (٥) الغناء : ما يحمله السيل من الورق والاوزاخ
فلكة المغزل : خشبة مستديرة في راس المغزل - ان المطر تجمع بما يحمله من الغناء في السهل حول هذا الجبل
فاصبح راس الجبل يشبه فلكة المغزل ذلك لان فلكة المغزل تكون ملساء لا شيء عليها بيناتكون
الحبوط المغزولة ملفوفة حولها (٦) بماعه : ثقله اي كل ما فيه « في السحاب من الماء » . العياب جمع
عيبه : وعاء للامعة - بعد سقوط المطر اعشب الصحراء وازهر عشبها فشبها الشاعر ما انتشر فيها من العشب
والزهر بالاثواب الكثيرة الالوان التي ينشرها (التاجر) اليمني (الآني من اليمن) على الارض
ليعرضها على المشترين (٧) مككي : طيور كثيرة الصغير - كان هذه الطيور سقيت خيراً فيها فلعل حتى
يشد اسكارها ولذلك اكثر هذه الطيور تغريدها (٨) انابيش : اصول النباتات المفتلة بجذورها من
الارض . عصل : بصل بري - ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد ان جف السيل
كأنها اصول نبات واشجار مفتلة من اماكنها وملقاة هنا وهناك .

طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ

توفي نحو عام ٥٠ ق. هـ (٥٦٧ م)

قومه واسرته :

هو من بني قيس بن بكر بن وائل ، كانوا ينزلون بالبحرين في شرقي شمالي بلاد العرب (عند رأس خليج البصرة اليوم) . وكانت امه وردة من بني مالك ابن ضبيعة من بني ربيعة .

واما طرفة نفسه فاسمه عمرو بن العبد . ولعل اسم ابيه الكامل كان عبد مناة او عبد اللات فاقصر الرواة المسلمون على « العبد » كرهاً منهم أن يسموا الانسان عبداً لغير الله . وكان لطرفة فيما نعلم من شعره اخ اسمه معبد ، وابن عم اسمه مالك . ويظهر انه كان له اخوات اسم احدهن الحُرْنِيقُ ، وكانت شاعرة . وربما كان من اخواته شاعرة غيرها ايضاً .

ونشأ طرفة يتيماً ، مات ابوه وهو صغير ، فأبى اعمامه ان يقسموا له نصيبه وظلموه حقه . ويظهر ان طرفة خاصة قد تألم من هذا الظلم لانه نشأ مع امه وردة في بؤس وفقر . اما اخوه معبد فكان في الاغلب اكبر منه ، ولعله كان ايضاً من غير امه ، وكان بلا ريب صاحب إِبِلٍ كثيرة وانعام فلم يَشْكُ من الدهر ما شكاه طرفة . وفي شعر طرفة انه لم يكن على اتفاق مع اخيه معبد .

حياته العامة

قال طرفة الشعر شاباً ناشئاً وتعرض به مدحاً وهجاء . وكان اكثر تعرضه لبلاط الحيرة ، فيقال ان طرفة كان يرعى ابلأله ولاخيه ، وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر فقال له اخوه : « لم لا تستريح بابلك (ترجع بها في الليل الى معاطنها) ؟ - ترى انها ان اخذت منك تردها بشعرك هذا ؟ » قال طرفة : فاني لا اخرج بها ابداً حتى تعلم ان شعري سيردها ان اخذت . فتوكلها (طرفة) فأخذها اناس من مضر . فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابني المنذر الثالث ملك

الخيرة (ت ٦٨ ق. ٥، ٥٥٤ م) وقال :

أعمرو بن هند، ماترى رأيي صرمة (١)
وكان لها جاران ، قابوسُ منهما
وعمرُو، ولم استرعها الشمس والقمر.
فعوضه هذان ، فيما قيل، إبلاً مكانها.

على ان طرفه لم يتصل بعمرُو بن هند مباشرة ، بل كان متصلاً بأبيه من قبله ،
ثم اتصل بأخيه لأبيه « لا من امه » واسمه ايضاً عمرو بن امامة وذهب معه الى
اليمن فمكثا هنالك بضع سنوات . ولم يزر طرفه بلط الحيرة في أيام عمرو بن هند
(٥٥٤ - ٥٦٨ م) قط .

وقد اشترك طرفه في حرب البسوس التي انتهت قبل ان تبدأ حرب داحس
والغبراء ببضع سنين او تزيد .

موته

وزعموا ان سبب مقتل طرفه انه هجا عمرو بن هند فكتب عمرو بن هند له
وخاله المتلمس كتابين الى عامله على البحرين واوهمهما ان في الكتابين امرأ بصلة
لها . اما المتلمس فقد شك في كتابه ففضه وسأل احد صبيان الخيرة ان يقرأه له .
ففعل ، فاذا فيه امر بقتله . عندئذ شق المتلمس الكتاب وألقاه في النهر ، ثم قال لطرفة :
ان في كتابك مثل ما في كتابي . فلم يشأ طرفه ان يصدق وتابع طريقه حتى وصل
الى البحرين . وكان عامل البحرين قريباً لطرفة فنصحه ان ينجو بنفسه فلم يقبل ،
فسجنه ثم سأله عن الطريقة التي يختارها لقتله فقال له : اسقني خمراً وافصد الكحل
(الا كحل عرق في الذراع) . ففعل عامل البحرين ذلك وتوفي طرفه على الاثر .
هذه القصة ظاهرة الصنع كما يبدو من تفاصيلها ، وخصوصاً اذا علمنا ان طرفه
لم يزر عمرو بن هند في أيام حكمه . والاقرب الى الصواب ان يكون طرفه قد
صحب عمرو ابن امامة (اخا عمرو بن هند لأبيه) الى اليمن ، وقد مكثا هنالك
بضع سنوات وقتلا كذلك هنالك في حديث طويل .

وزعم قوم ان طرفه قُتل وعمره عشرون سنة ، ومنهم من زعم انه قتل وعمره ست وعشرون ، وهم يستشهدون على ذلك بقول اخته الحرنق :

عددتا له ستاً وعشرين حِجَّةً فلما توقاها استوى سيداً ضخماً .
فجئنا به لما رجونا إِيابه على خير حال لا وليداً ولا قحماً .
والقحم المتناهي في السن . إلا انه ليس ثمة من دليل على ان هذه الابيات قيلت في طرفه . ومع ذلك فان هذا الشاعر قد توفي في إبان شبابه .

خصائصه الفنية :

طرفة شاعر مقل تروى له بضع قصائد فقط ، وذلك راجع بلا شك الى انه مات صغيراً ، مع ان بعضهم يعتقد ان شعره قد ضاع . وعلى رغم ذلك كله فان طرفة قد بلغ من جودة الشعر بجدائة سنه ما بلغه غيره من الشعراء بطول اعمارهم . وطرفة يعد في المتقدمين من شعراء الجاهلية بمعلقاته ، حتى قالوا انه اشعر الناس واحداً ، اي ان معلقته تفضل كل قصيدة جاهلية اخرى اذا قيس بها وحدها .

وشعر طرفة بدوي خالص ، بل هو اذل على البداوة من شعر كل شاعر جاهلي آخر : انه كثير الغريب من الالفاظ ، كثير المتانة في التركيب . وفي تشابيه واستعاراته شيء من الابهام . واما من حيث المعاني ففي معلقته اختراعات جعله بها ابن رشيق (١ : ٢٣٣) في المنزلة الثانية بعد امرئ القيس ، واستشهد له بابياته التي تبدأ في المعلقة بقوله : « ولولا ثلاث هن من لذة الفتى ... » وبغيرها ايضاً . وكذلك اغراض طرفة في معلقته خاصة متعددة مختلفة ، وهي مطبوعة بطابعه الشخصي على الرغم من انه اراد الا يشذ عن القاعدة الجاهلية في « بر » الاقربين ولو اساءوا اليه . ان قول طرفة في معلقته :

ولو كان مولاي امرأ هو غيره لفرج كربى او لأنظرني غدي
يدل على هذا النزاع النفسي بين ما يشعر به هو شخصياً وبين ما كان يقضي به « البر » للاقربين في الجاهلية . الا ان العنصر الشخصي لا يلبث ان ينتصر على العادة السائدة

فيقول طرفه وهو يتألم :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند .
فمن الاغراض التي تظهر في المعلقة خاصة عتابه لابن عمه مالك وغزله بخولة
ووصفه للناقة وفخره بنفسه في الحياة والحرب ثم حكمه التي استمدها من نفسه ومن
سوء معاملة اهله له . وله في غير المعلقة مقطعات مختلفة في الهجاء وشيء نزر من
المدح . وسنوجز الكلام على هذه الاغراض ، ولكن سنستشهد فقط على ما ليس له
شواهد في المعلقة .

١. الهجاء - من المنتظر ان يكون المدح في شعر طرفه نزرّاً وان يكون الهجاء
كثيراً ، لما علمت من طرد قومه له وظلم اهله اياه . وهجاؤه قصير ، مؤلم وفيه
تهكم ، على ما فيه من قلة المبالاة بالناس والجرأة على ذكر عيوبهم ، حتى لقد تهكم
على خاله المتلمس الشاعر ، كما قيل . وكذلك هجا عمرو بن هند الذي كانت العرب تهابه
هيبة شديدة . ولقد اجمع الرواة على ان مرارة هجاء طرفه كانت السبب في مقتله .
من ذلك هجاؤه لعبد عمرو بن بشر صهره ، وكانت اخت طرفه قد شكت اليه
شيئاً في زوجها يجب الا يشكى من الرجال . فلما مالاً عبد عمرو الملك عمرو بن
هند ، فيما بعد ، على طرفه قال فيه طرفه :

فيا عجباً من عبد عمرو وبغيه لقد رام ظاهي عبد عمرو فانعما .
ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحاً اذا قام اهضماً (١) .
تظل نساء الحي يعمكن حوله يقنن عسيب من سرارة مآهما (٢) .
وهجا طرفه عمرو بن هند واخاه قابوساً فقال فيها :

فليت لنا مكان الملك عمرو دغوثاً حول قبتنا نخور (٣)
لعمرك ان قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك (٤) كثير .

(١) الكشح الاهضم : الخمر النجس « وهو من صفات النساء » . (٢) تدور النساء حوله ثم يرجعن
وهن يقنن : هذا جريدة نخلة ! سرارة ملهم : مكان كتبه النخل (٣) دغوث : شاة حلوب . قبة :
خيمة نخور : ترفع صوتها . (٤) حق .

٢. الوصف - ليس لطرفة في غير الناقة وصف يذكر . ولقد وصف الناقة في معلقته بسنة وثلاثين بيتاً هي اطول ما عرف في وصف الناقة في الشعر الجاهلي . ويدهشك ان ترى طرفه لا يكتفي بوصف الاعضاء الظاهرة للناقة بل يصف اعضاءها الباطنة كقلبها وكملتقي عظام الجمجمة . ان هذا الوصف مادي ، انه تصوير حسي للناقة .

٣. الفخر والحماسة - ومع ان اهل طرفه قد اساءوا اليه فانه افتخر بهم حين انتصر بنو بكر على بني تغلب يوم تحلاق اللّحم (حلق الرؤوس) وهو آخر الايام (المواقع) العظيمة في حرب البسوس ، تلك الحرب التي دامت اربعين عاماً حتى اطفأها المنذر (الثالث) ابن ماء السماء (ت ٦٨ ق هـ ، ٥٥٤ م) :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بثوانا يوم تحلاق اللّحم .
خيرُ حي من معدٍ علموا لكفي^(١) ولجار وابن عم .
وتفرعنا من ابني وائل هامة المجد وخرطوم الكرم .

اما حماسه فتقوم على النجدة والاسراع الى الحرب وعلى البأس في القتال والشجاعة مما تراه في المعلقة .

٣. الغزل - طرفه مادي الهوى يرغب في اللذة العاجلة ولذلك يندر ان ترى عنده نسيباً او غزلاً وجدانياً ، بل هو اميل في غزله الى الوصف المادي والى المجون ، فالمرأة احدى لذات طرفه الثلاث ، وخصوصاً اذا كان اليوم ممطراً وكان هو لا يستطيع فعل شيء آخر :

وتقصير يوم الدّجن ، والدجن معجب بهيكنة تحت الحباء المعمد .
وطرفة من اقدم الشعراء الذين جرى عندهم الغزل المؤنث في لفظ مذكر :

وفي الحي احوى ينفض المرّد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد .
٤. العتاب - واكثر عتاب طرفه لاهله وقومه إما لانهم طردوه او ظلموه ، واما لانهم خذلوه حينما خذلوه قبيل مقتله . وعتابه اقرب الى الهجاء . واذا نحن تركنا

(١) الكفي : الكافي ، الذي لا يحتاج الى من يدافع عنه .

الاستشهاد على عتابه لابن عمه لانه وارد في المعلقة فيجدر بنا ان نستشهد بما عاتب به اهله قبيل مقتله فيما قيل :

اسلمي قومي ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحة .
كم من خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحة (١) .
كلهم اروع من ثعلب ، ما أشبه الليلة بالبارحة !

٥. حكمه - وطرفة على صغر سنه من حكماء الجاهلية ، بل لعل حكمه في معلقته اقرب ما في الشعر الجاهلي الى معنى الحكمة . ويزيد في قيمة الحكم عند طرفة انها مستمدة من حياته الخاصة ومن اختباره هو بعد الذي عاناه من ظلم اهله ، فقد اندفع يطلب الحياة ويرى ان كل ما وراء هذه الدنيا المادية وكل ما وراء لذاتها العاجلة باطل .

ومع ان طرفة افتخر بالكرم والنجدة والشجاعة فانه حصر لذاته في الخمر والمرأة والضيافة . ثم رأى ان اللذة المادية العاجلة هي كل ما يصبو اليه الانسان . اما الحياة الاخرى فقد انكرها . ولقد فسح طرفة في الحياة مجالا كبيرا «للتناق» . اما الموت فيأتي على كل شيء ، ولا يمكن لاحد ان يدفعه عن نفسه ولا عن غيره . وهذا هو الجبر الحقيقي «وهو ان ما يأتي على الانسان في هذه الحياة لا يأتيه باختياره» . من اجل ذلك كان طرفة ماديا في آرائه فاعتقد ان ما انفقه الانسان في الحياة وتمتع به فقد ربحه ، واما ما تركه وترك التمتع به فقد اضاعه .

ولعل اعظم ما في حكمه «آراؤه في الاخلاق» تلك الآراء التي تقرب من ان تكون فلسفة : لقد فصل طرفة بين اسلوب الحياة وبين الاخلاق ، اذ الاخلاق عنده مبدأ اجتماعي ينحو نحو حسن معاملته الناس . اما افعال الانسان واعماله الفردية «كالسكر مثلا والقمار والاستهتار في طاب المذات كلها» فأمره شخصية بحت ، يعود نفعها وضررها على صاحبها وحده .

(١) لا ترك الله له استانا .

الحياة والموت :

ووقف طرفة على الحياة والموت في معلقته وقفة طويلة .

كان العرب في الجاهلية دهريين يؤمنون ببقاء الدهر وخلوده وبأن كل انسان سيصيبه الدهر بالموت صغيراً او كبيراً ، صحيحاً او سقيماً مغامراً او جباناً . اما الموت فهو نهاية الحياة البشرية ، ثم ليس هنالك حياة اخري بعد الموت . وقد ذكر القرآن الكريم اعتقاد الجاهليين هذا فقال يقرّهم (١) :

« وقالوا : ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا (يموت بعضنا ويحيا — يولد بعضنا) وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » .

وهذا ظاهر كله في معلقة طرفة :

يرى طرفة ان يندفع نحو اللذة العاجلة التي تحصل من شرب الخمر خاصة واللهاو مع النساء ومن الكرم ، فاذا حصلت له هذه فلا يبالي بعدها — متى يموت . وهو يريد ان يشرب الخمر في الحياة ويكثر لان الموت عدم ولا خمر بعد الموت . ثم ان كل انسان سيموت فاذا مات البشر تساوا وتحت التراب وكان قبر البخیل وقبر السفیه المسرف واحداً في مظهره : كومة من تراب ثم حجر يدل على ان تحت هذه الكومة ميتاً . والموت يأتي على كل شيء وعلى كل حي . ثم ان كل يوم يمضي ينقص من عمر الانسان . اما الزمان فابدي لا ينتهي .

معلقة طرفة بن العبد

قال طرفة معلقته ليبسط شكواه من اهله ويعلم آراءه في الحياة ، كما انه ضمنها بعض ما كان يفخر به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم . وتعتبر معلقة طرفة من ادل القصائد على خصائص الشعر الجاهلي وعلى العقلية الجاهلية البدوية :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (١)
وقوفاً بها صحي علي مَطِيَّهم يقولون: « لا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجِدْ » .
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خلايا سفين بالنواصف من دَد (٢) .
عَدَوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يحور بها الملاح طوراً ويهتدي (٣) .
يَشُقُّ حُجَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كما قسم الثرب المُقَابِلُ باليد (٤) .
وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفِضُ الْمَرْدَ شَادِنُ مظاهر سَمَطِي لَوْلُؤُ وَزَبْرَجِد (٥) .
خَذُولٌ تُرَاعِي رَبَّاباً بِخَمِيلَةٍ تناول اطراف البرير وترتدي (٦) .
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا تخلل حرّ الرمل دِعْصَ لَهُ نَدِ (٧) .

(١) كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد نفرت مروفتها وتخرج جلدها ، حينما يتقدم الانسان في السن . (غير واضحة)
(٢) الحدج : الهودج . المالكية : خولة حبيبته « من بني مالك بن سعد بن ضبيعة » . خلايا سفين : سفن عظيمة . يحور : يضل . (٣) عدوية « نسبة الى ارض ما او رجل ما » . ابن يامن ، « قيل ملاح معروف » . (٤) حجاب الماء : الزبد . حيزوم : مقدم السفينة . المقابلة : لعبة يجمعون لها كومة من الرمل ثم يأتي لاعب فيخفي فيها جسما ما وبعدئذ يمر يده في وسط الكومة ويسأل لاعبا آخر عن مكان الجسم ، اهو عن يمين يده او عن يسارها . (٥) احوى ، الحوة ، السمرة في الشفاه وفي الاجفان والمقلتين . شادن ، يشبه المحبوبة - اذا مدت عنقها - بالظبي الذي يحاول ان يطالثر الاراك ، ثم هي تلبس عقدين من لؤلؤ وزبرجد . (٦) خذول : تركت الظباء واقامت على ربربها (ولدها) ، ثم هي تأكل من شجر الاراك وترتدي (تختفي بين اغصانه واوراقه) . (٧) اللمى : السمرة في اللثة ، ثم يجعل اسنانها البيض كأنها زهر ابيض مغروس في تلة من الرمل الاحمر الخالص .

سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِسَاتِهِ
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا
وَإِنِّي لَا مُضِيَّ الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
أُمُونٌ كَأَلْوَابِ الْإِرَانِ نِسَائُهَا
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَاتَّبَعْتَ
لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضِ فِيهِمَا ،
لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانَ ، كَأَنَّمَا
كَفَنُ طَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبِّهَا
صُهَابِيَّةُ الْعُنُونِ ، مُؤَجَّدَةُ الْقَرَا ،
أُمَرَّتْ يَدَاهَا فَتَلَ شَرْزُرٌ ، وَأُجْنَحَتْ

أُسُفٌ ، وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ (١) .
عَلَيْهِ ، نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدْ (٢) .
بِعَوْجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحٍ وَتَغْتَدِي (٣) .
عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجِدْ (٤) .
وُضَافًا وَضَافًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدْ (٥) .
كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٌ مُمَرَّدْ (٦) .
تَمُرُّ بِسَلَمِي دَالِجٍ مُتَشَدَّدْ (٧) .
لَتُكْتَفِنَنَّ حَتَّى تُشَادَّ بِقَرْمَدِ (٨) .
بَعِيدَةً وَخَدَّ الرَّجُلِ ، مَوَارِدَةَ الْيَدِ (٩) .
لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسْنَدْ (١٠) .

(١) لون اسنانها كإيالة «ضوء» الشمس ، وكان الالته قد رش عليها اثم « كحل » فاسمرت وذلك من جمال الالته عند العرب ، ثم هي لم ترمق اسنانها فتشوه اشكالها واما كنهها . (٢) تخدد : تشقق . (٣) امضي الهمة : اذهب . عوجاء مرقال : نافقة ضامرة سريعة في تساق التلال . (٤) امون : لا تعثر . الاران : التابوت (يقصد انها قوية البنية كالوالب الخشب المتينة) . نسائها : زجرتها وضربتها لتسرع في المسير . اللاحب : الطريق . برجدة : النوب المخطاط (يقصد على طريق سهل مستقيم) . (٥) عتاق ناجيات : نياق كريمات الابل سريعات . الوظيف : عظم الساق (يعني انها تسرع فتنبع رجلها بيدها) . المور : الطريق . (٦) اكمل النحض فيها : تم لحمها ، كأن فخذيها جانباً باب قصر (٧) افتلان : « هنا » متباعدان عن صدرها . السلم : الدلو . دالج : الذي ينقل الماء من البشر الى حوض الابل . متشدد : متكلف ، متجعد - يشبه مرفقي الناقة في تباعدهما عن صدرها بتباعده ذراعي الرجل الذي يحمل دلون دلالة على قوته . تمر : تفتل . (٨) القنطرة : الجسر . الرومي : اليوناني ، اشارة الى مقدرة اليونان في البناء ، يقول : هي تشبه الجسر الذي رفع بناؤه واحيط بجدار من الاجر « القرميد » . (٩) صهايبية العننون : الشعر الذي تحت شفتها اليسرى يميل الى الحمرة . مؤجدة القرأ : صلبة الظهر . الوخذ : بعد ما بين الخطوة والخطوة . مواردة : كثيرة الحركة « والعرب يستحسنون ان يكون خطو رجل الناقة ثابتاً بعيداً ، اما خطو يدها فمع حركة » . (١٠) فتات يداها فتلا شديداً وقام عضداها « القسمان الاعليان من ذراعيها » على جانبي جسمها كأنما يرفعان فوقها سقفاً .

- جَنُوحٌ، دِفَاقٌ، عَنَدَلٌ، ثُمَّ أَفْرَعْتُ لَهَا كِتِفَاهَا فِي مُعَالَى مُصَعَّدٍ (١).
- وَاتْلَعُ نَهَاضٌ، إِذَا صَعَدَتْ بِهِ، كُسْكَانٌ بُوصِيٍّ بِدِجَلَةٍ مُصْعِدٍ (٢).
- وَجُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ، كَأَنَّمَا وَعَى الْمُلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ (٣).
- وَحَدُّ كَهْرُطَاسِ الشَّامِيِّ، وَمِشْفَرٌ كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يَجْرُدْ (٤).
- وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْنَتَا بِكَهْفِي حِجَاجِي صَخْرَةٍ قَلَّتْ مَوْرَدُ (٥).
- وَصَادِقَتَا سَمِعَ التَّوَجُّسَ لِلسُّرَى لَهَجَسَ خَفِيٍّ أَوِ لَصَوْتٍ مُنَدِّدٍ (٦).
- مَوْئِلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ (٧).
- وَارَوْعُ نَبَاضٌ أَحَدُ مُلْمَلَمَةٍ كِمِرْدَاةٍ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدٍ (٨).
- وَاعْلَمِ مَخْرُوتٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمُ بِهِ الْأَرْضَ تَرَدَّدٍ (٩).

(١) جنوح : تميل في السير الى احد جانبيها . دفاق : مندفعة في السير . عندل : كبيرة الرأس ، وقد ارتفعت كتفها حتى وصل اصلها الى ادنى السنام . ٢) اتلع نهاض : عنقا مرتفعم . سكان بوصي : دفة السفينة . مصعد : « هنا » صاعد في مجرى النهر الى اعلاه « وهذا اصعب لانه يقال بالسكان الموج ويعارض لتيار » . ٣) العلاة : السندان الذي يضرب عليه الحداد ، ثم ان عظام ججمتها متصل بعضها ببعض على قوة ومثانة ، وهي مسننة كطرف المبرد « طرفه يتخيل الججمة المجردة من الجلد واللحم على ما نعرف من علم التشريح » . ٤) خدها ابيض كالورق ولا شعر عليه ، وشفتها رقيقة كالجلد المدبوغ للصناعة ولم يجرد « غير منكسر او ملتو » دلالة على ان الناقة فتية لا مسنة . ٥) الماوية : المرأة . استكن : استقر . الحجاج : العظم المشرف على العين وعليه ينبت الحاجب . قلت مورد : نفرة ينبع منها الماء . ٦) اذناها تسمعان الصوت الخفي في الليل وتسمع صوت المندد « الذي يرفع صوته » . ٧) مؤئل : محدد . العتق : كرم الاصل « او ليس في داخله شعر » . مفرد : منفرد - الوحش المنفرد اكثر تنبهاً للاصوات من الحيوان الاليف . ٨) اروع نباض : قلب قوي النبض . احذ : امس . مللم : مجتمع ، مكتنز . مرداة : صخرة . صفيح مصعد : « جارة عريضة صلبة » يصف موقع قلبها داخل صدرها . ٩) واعلم مخروت من الانف : شفتها العليا التي تحت انفها مشقوقة . مارن : لين « صفة لانفها » . عتيق : « يدل على كرم اصل الناقة » . متى ترجم به الارض تردد : اي متى تضرب بناقتك في الارض « تسافر عليها » تردد سرعة على المسير . - متى خفضت الناقة رأسها ازدادت سرعتها .

وان شئت سامي واسط الكور رؤسها
وان شئت لم تُرقل وان شئت ارقلت
على مثلها أمضي اذا قال صاحبي:
اذا القوم قالوا: «من فتى؟» خلت انني
أحلت عليها بالقطيع فاجذمت
فذالت كما ذالت وليدة مجلس
ولستُ بحلال التلاع مخافة
فان تبغني في حلقة القوم تلقني
وان يلتق الحي الجميعُ تلاقني
متى تأتني أصبحك كأساً روية
نداماي بيض كالنجوم وقينة
وعامت بضبعيها نجاء الحفيدة (١).
مخافة ملوي من القد محصد (٢).
«ألا ليتني أفديك منها وأفتدي»
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد.
وقد خب آل الأمعز المتوقد (٣).
ثري ربها اذ يال سحل ممدد (٤).
ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٥).
وان تقتصني في الحوانيت تصطد (٦).
الى ذروة البيت الكريم المصمد (٧).
وان كنت عنها ذا غني فاغن وازدد (٨).
تروح الينا بين برد ومجسد (٩).

(١) ربما جذبت برسنها فأصبح رأسها موازياً في العلو لكورها «سرجها»، ثم مدت ضبعيها «عضديها» كأنها تسبح، كما يجري الحفيدة «ذكر النعام» (٢٠) ملوي من القيد «الجلد»: السوط. محصد: الشديد القتل (٣) أحلت عليها بالقطيع: ضربتها بالسوط. اجذمت: أسرع. خب: اضطرب. الآل: السراب. الامعز: المكان الغليظ الكثير الحصى (٤) اي ماست وتبخترت الناقة في مشيتها كما تفعل الفتاة لترى سيدها ثوبها الابيض الطويل اللذيذ (٥) اي لا اسكن التلاع وهي مجاري المياه من رؤوس التلال، ولكن اذا جاء طالب رقد «عطاء» أعطه «يعني لا اهرب من اكرام الضيوف» (٦) حلقة القوم: ناديهم. الحانوت مكان بيع الخمر، «يعني تجديني مـ سـع اشراف القوم وتجديني في محلات اللهو» (٧) المصمد: المقصود «يعني اذا انتمى الناس الى انسابهم فاني انتمى الى اشراف البيوت» (٨) اصبحك: اسقيك «الخمر» صباحاً. روية: تروي. ثم يقول: واذا كنت ذا مال يغنيك عن قبول كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به (٩) النديم: الذي يشرب الخمر معك. القينة: التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم. البرد: الثوب الابيض. المجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران «يعني يلبس ثوبين ابيض ومصبوغاً».

- رحيب قطاب الجيب منها ، رقيقة
 اذا نحن قلنا : « اسمعينا » انبرت لنا
 اذا رجعت في صوتها خلت صوتها
 وما زال تشرابي الحُمور ولذتي
 الى ان تحامتني العشيرة كلها
 رأيت بني غبراء لا ينكرونني
 ألا ايها اللائي أشهد الوغى
 فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
 فلو لا ثلاث هن من لذة الفتى
 فمهن سبقي العاذلات بشربة
 وكري ، اذا نادى المضاف ، مجنباً
 يحس الندامي ، بضّة المتجرّد (١).
 على رسلها مطروقة لم تشدد (٢).
 تجاوب أظار على ربع ردي (٣).
 وبيعي وانذاقي طريفي ومُتلدي (٤).
 وأفردت أفراد البعير المعبّد (٥).
 ولا اهل هذا الطراف الممدّد (٦).
 وان احضر اللذات هل انت مخلدي ؟ (٧)
 فدعني ابادرها بما ملكت يدي !
 وجدك لم احفل متى قام عودي (٨).
 كميت متى ما تعلّ بالماء تُربد (٩).
 كسيد الغضا ، نبهته ، المتورد (١٠).

(١) رحيب : واسعة . قطاب الجيب : مجتمع الثوب حول العنق « يصف اتساع صدرها » . رقيقة
 يحس الندامي : اذا الندامي جسوا جسدها وجدوه رقيقاً ليناً . بضّة : بيضاء لينة . المتجرّد : النجرد
 من الثياب . (٢) اسمعينا : غني لنا . رسلها : هبتها وسكونها . انبرت : « اجابت » . مطروقة : ساكنة ، مسرعة .
 تشدد : « تشدد » : تنهياً وتجنّهد . (٣) رجّع : ردد الصوت . اظار جمع ظئر : « ام » . ربع
 ردّ : طفل ميت (٤) الطريف والمثلد : المال المكتسب والموروث . (٥) تحامتني : اجتنبتني . المعبّد :
 المدهون بالقطران « لانه اجرّب » . (٦) غبراء : الارض . بنو غبراء : الفقراء . الطراف : الجماعة
 من جلد . اهل الطراف : الاغنياء . (٧) يا ايها الذي يلومني على الذهاب الى القتال وعلى التمتع
 باللذات ، هل تستطيع ان تخلدني في الدنيا « اذا انا لم افعل ذلك » (٨) احفل : اهتم . العود جمع
 عائد : الذي يزور المريض . قام عودي : مت « لان المريض اذا اوشك ان يموت خرج العائدون
 من عنده » . (٩) العاذلات : اللوات . كميت : نخر حمراء ، يصفها بانها اذا مزجت بالماء علاها الزبد .
 (١٠) كرمي : اسراعي . مجنباً : فائدأ فرسي معي لاجل الضيف عليها . السيد : الذئب . الغضا : نوع من
 الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية . المتورد : الذهاب الى الماء « العطشان » .

وتقصير يوم الدجن، والدجن مُعْجِبٌ ، وبهكنة تحت الحباء المعمد (١).
 فذرني أروِّي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً أينما الصدي (٢).
 كريم يروِّي نفسه في حياته مخافة شرب في الممات مُصْرَدٌ (٣).
 لعمرُك ان الموت ما اخطأ الفتى لك الطول المرخي وثنياه باليد (٤)،
 متى ما يشأ يوماً يقده لحتفه ومن يك في جبل المنية ينقد (٥).
 ارى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد (٦).
 ترى جثوتين من تراب عليها صفائح صم من صفيح مُنْضَدٌ (٧).
 ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد (٨).
 ارى الموت أعداد النفوس ولا ارى بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غدا
 ارى العيش كترأ ناقصاً كل ليلة وما تنقص الايام والدهر يُنْفَدُ (٩).
 فمالي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينأ عني ويبعد.
 يلوم ولا ادري علام يلومني كما لامني في الحي قرط بن أعبد (١٠).
 وآيسني من كل خير طلبته كأننا وضعناه الى رمس مُلْحَدٌ (١١).

(١) الدجن : المطر . معجب : يعجب « منه من رآه لشدة » . بهكنة : امرأة كاملة الحلقة .
 المعمد : المرفوع على عمد « خيمة كبيرة » . (٢) الصدي : العطشان . (٣) : مصرد : قليل . (٤) :
 الطول : الجبل . ثنياه : طرفاه . (٥) يشبه الانسان في يد الموت كالحوان المربوط بجبل ، وهو
 مرسل يرعى ، فمضى شاء الموت جذب الانسان اليه . (٦) نحام : الذي يتنحنج عندما يسأله احد ممروراً .
 (٧) الجثوة : الكومة . منضد : مرفوع « على القبر » . (٨) : يعتام : يختار . العقيلة : « هنا » خيرة
 المال . الفاحش : السيء الخلق . المتشدد : البخيل - الموت يأتي على كل نفس . (٩) : ما : اسم شرط
 في محل نصب مفعول به - العمر كالل الذي تأخذ منه كل يوم شيئاً لنفقتك . ومهما كان عمر كطويلاً
 فانه يفنى مع الايام . (١٠) ابن عمي يلومني كما يلومني الغريباء « كقرط بن أعبد مثلاً » . (١١) كأننا
 دفنا الخير .

على غير شيء قلته غير اني
وقربت بالقربى وجدك اني
وان أدع للجلى اكن من حماها ؛
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقمهم
فلو كان مولاي امراً هو غيره
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي

على الشكر والتسأل او انا مفتدي (٦).
وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
فذرني وخلقى انني لك شاكر
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني
بنون كرام سادة لمسود (١٠).

(١) معنى هذا البيت غامض ولعله يقصد ان اخاه لاه على قول الشعر فطلب به الابل التي كانت قد نهبت.
(٢) تقربت اليك بما بيننا من قرابة . النكبة : الحادث المظفر . اشد : احضر واشترك في الجهاد .
(٣) الجلى : الامر العظيم . الجهد : البلاء . اجهد : اجاهد معك . (٤) القذع : الشتم ، ثم يقول :
اقتلهم قبل ان اتهددم . (٥) مولاي : ابن عمي « يقصد ابن عمه مالكاً » . امرؤ هو غيره : مسهر
ابن اصرم فيما قالوا . لفرج كربي : اعاني على ما انا فيه من الغم . لانظري غدي : تأني علي
وصبر حتى استطيع ان افعل ما يريد في المستقبل . (٦) - يقصد : ولكن ابن عمي يجبرني على ان
اشكره وان اسأله دائماً « حتى يعطيني من المال الذي هو لي عنده » او انه يرضى اذا اقتديت نفسي
منه بما لي « اي اذا تركت له مالي الذي هو عنده » . (٧) مضاضة : الم وحرقة . الحسام : السيف
القاطع . المهند : صنع الهند . (٨) اي دعني اعيش كما احب . وسأظل شاكراً لك على كل حال حتى
ولو ابتعدت عنك كثيراً . ضرغد : اسم مكان « يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى الشاعر » . (٩ و ١٠)
قيس ابن خالد رجل من بني شيان ، وعمرو بن مرثد ابن عم آخر لطرفة وكان غنيا وذا بنين وحفدة
كثار . فلما سمع ذلك من طرفة استدعاه ثم امر ابناؤه السبعة فأعطاء كل واحد منهم عشرة من الابل
وامر ثلاثة فقط من احفاده ان يفعلوا مثل ذلك ، فتم لطرفة مائة من الابل .

- انا الرجل الضربُ الذي تعرفونه خشاشُ كُراُس الحَيَّة المتوقد (١).
 فَاَئِنت لا ينفكُ كُشحي بَطانة لعَضْب رقيق الشفرتين مُهند (٢).
 حُسام اذا ما قمت منتصراً به كفى العودَ منه البدء ليس بمُعَضد (٣)
 اخي ثِقَّة لا ينشني عن ضريبة
 اذا قيل: « مهلاً » قال حاجزه: « قَدي » (٤).
 اذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدّتي منيعاً اذا بَلَّت بقائمه يدي (٥).
 فان متُّ فانعيني بما انا اهلُه وشِتي عليّ الجِيبَ يا ابنةَ معبد (٦).
 ولا تجعليني كامرئٍ ليس هَمُّه كهمي ولا يُغني غنائي و شهدي (٧)،
 بَطيء عن الجَلَى سريع الى الحنا ذليلٌ باجماع الرجال مُلهَد (٨).
 فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني عداوة ذي الاصحاب والمتوحد (٩)
 ولكن نفى عني الرجال جَرائتي عليهم وإقدامي وصدقِي ومُحتدي (١٠)
 لعمرك ما امري عليّ بَعْمَة نهاري، ولا ليالي عليّ بِسَرَمَدي (١١).

(١) الضرب : الخفيف « الحركة » . خشاش ذو مضاء في الامور . المتوقد : الذي النشط . ٢
 آلى : اقسم . كشي : جاني اي خصري . بطانة : ما يكون تحت الثوب . عضب : قاطع - اقسمت
 الا يفارقني السيف . ٣) معضد : سيف تمتحن به الشجر « مقص الشجر » . كفى العودُ من البدء :
 تكفي منه الضربة الاولى لتفعل فعلها . ٤) يقطع كل ما اصابه ولا يرتد عنه . وادا اراد الضارب
 به ان يتراجع في ضربه يقول المضروب به : حسي « يعني : كفتني هذه الضربة او الجزء من الضربة :
 قتلت » . ٥) منيعاً : لا يوصل اليه . بكت : ظفرت به وتمكنت منه . ٦) يخاطب ابنة اخيه فيقول
 لها : اذا مت فاذا كرّيتني بما استحق واحزنني علي . ٧) ولا تعامليني كرجل ليست له همتي . يغني : يفيد
 ويدفع الحوادث . المشهد : حضور القتال وغيره . ٨) بطيء نعت امرئ . الحنا : القبيح من
 القول والعمل . باجماع الرجال ملهد : يطرده الرجال عنهم، وهم يدفعونه بايديهم . ٩) الوغل : الضعيف
 الحامل . المتوحد : المنفرد « بقصد عداوة الجماعة والافراد » . ١٠) المتحد : كرم الاصل .
 ١١) غمة : حيرة . سرمد : ابدى - لا تنم لكنتي الحيرة في اعمالِي نهاراً ولا بطول لي الليل « لانني
 اجد مخرجاً من كل م او مصاب ينزل بي » .

ويوم حبست النفس عند اعتراكها
 على موطن يخشى الفتى عنده الردي
 ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
 ويأتيك بالاخبار من لم تبع له
 لعمرك ما الايام الا مَعَارَةٌ
 عن المرء لا تسأل وابصر قرينه
 حَفَظاً على عوراته والتهدد (١)،
 متى تعترك فيه الفرائض تُرْعَد (٢)،
 ويأتيك بالأخبار من لم تُرود (٣)،
 بتاتا ولم تضرب له وقت موعد (٤)،
 فما استطعت من معروفها فتزود (٥)،
 فان القرين بالمقارن مُقْتَدِي .

(١) وكَم من حرب صبرت النفس فيها وقاتلت حتى لا أعاب ولا أترك مجالا للعدو ان يهددني
 (٢) الفريضة : عضل بين الثدي والجنب ، وارتعاد الفرائض كناية عن الخوف ، والموطن هنا
 كناية عن الحرب . (٣) تزود : تعطيه زاداً « طعاماً او أجراً » ؛ لم تبع له بتاتا : لم تشتتر له
 طعاماً : لم تعطه أجراً . (٥) ايام الحياة عارية لن تدوم لك فاستغد منها ما قدرت عليه .

النابعة الذُّبْيَانِي

توفي نحو عام ١٨ قبل الهجرة ٦٠٤ م

هو زياد بن معاوية بن ضباب .. بن غيظ بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان
ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، من قيس عيلان بن مضر. وذبيان وعبس أخوان
وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان. وقد قيل ان النابعة كان احد الاشراف في قومه .

وسمي بالنابعة ، فيما قال الرواة ، لانه قال الشعر بعد ان تقدمت به السن ،
وقيل لانه اكثر من قوله الشعر ، وقيل بل لانه قال في بعض شعره : « فقد نبغت
لهم منا شؤون » .

واتصل النابعة ببلاط الحيرة ليمدح المنذر الثالث بن ماء السماء ، بعد ٩٢ ق. هـ .
(٥٣٠ م) . ويظهر ان النابعة غادر البلاط حينما جاء عمرو (بن المنذر الثالث) بن
هند (٦٨ - ٥٣ ق. هـ ، ٥٥٤ - ٥٦٩ م) لانخيازه الى تغلب على بكر في حادثة
عمرو بن كلثوم والحارث حليزة ، وقد قال فيه النابعة ابياتا مطلعها :

مَنْ مَبْلَغُ عَمْرٍو بَنِ هِنْدَ آيَةً وَمَنْ النَّصِيحَةُ كَثْرَةُ الْإِنْذَارِ .
وعاد النابعة الى الاتصال ببلاط الحيرة بعد موت عمرو بن هند في ايام اخويه
قابوس والمنذر الرابع ، وقد حكما مدة يسيرة . على ان النابعة عرف بانسه شاعر
« النعمان » الثالث « ابن المنذر » الرابع « وهو المعروف بابي قابوس ، وقد كان آخر
ملوك الحيرة وحكم اثنتين وعشرين سنة من ٣٧ الى ١٥ ق هـ « ٥٨٥ - ٦٠٧ م » .

ونال النابعة عند النعمان حظوة عظيمة ونال من عطاياه وجوائزه مبلغاً جسيماً
حتى انه كان يأكل في صحاف الفضة والذهب ، ولقد جرك ذلك حسد بعض اعدائه
فيقال انهم صنعوا على لسانه ابياتاً في هجاء النعمان . وقيل بل كان النابعة في مجلس
النعمان ، ومرت المتجردة امرأة النعمان ، فاتفق ان سقط نصيفها (لثامها) فستوت
وجهها بذراعها وانحنت على الارض ترفع النصيف بيدها الاخرى . فطلب النعمان

من النابغة ان يذكر هذه الحادثة في قصيدة يصف فيها المتجردة فعمل النابغة قصيدته :
امن آل مية رائح او مُغتدي : عجلانُ ذا زادٍ وغيرُ مزود .
فقال فيها :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته وادّمتنا باليد .
بمخضّب رخص كأن بنانه عنم على اغصانه لم يُعقد (١) .
ثم بدأ يصفها حتي ذكر اموراً لا يجوز ذكرها ، فانتهر اعداء النابغة الفرصة
واوغروا عليه صدر النعمان . ويظهر ان النعمان اصغى للوشاية فيخاف النابغة على
نفسه وهرب الى بلاط الفساسنة فمدح احد امراءهم النعمان بن الحارث الاصغر ورثاه ،
وكذلك مدح اخاه عمرو بن الحارث الاصغر . ونحن نعلم ان هذين الاميرين عاشا
وتوليا الملك بين ٥٨٣ و ٦١٤ ولكننا لا نعلم تواريخ ملكهما بالتدقيق لاضطراب
الاحوال السياسية في جميع تلك الحقبة .

خصائصه

النابغة شاعر حضري لانه عاش اكثر حياته في بلاط الحيرة وبلاط جَلَّتْ عند
المناذرة والفساسنة ، من اجل ذلك تجد في بعض شعره رقة الحضارة من فصاحة في
اللفظ وعذوبة وسهولة في التركيب ، بالاضافة الى شعراء البادية كامرئ القيس
وطرفة . واحتج من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بانه كان اوضحهم
معنى ، وابعدهم غاية « أي يتطلب معاني جديدة بعيدة عن تلك التي ألفها الشعراء »
كثير الفائدة (اي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد ابن رشيق
فقال (١ : ٨١ - ٨٢) : « كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ،
واذهبهم في فنون الشعر ، واكثرهم طويلة جيدة (اي ان قصائده الطوال جياذ)
واحسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) .. وكان زهير والنابغة من عبيد
الشعر ، .. يتكلفان اصلاحه ويشغلان به حواسنهما وخواطرها . . . بالتنقيح
والثقيف » .

(١) العنم : ثمر احمر ، اشارة ان بنانها (رؤوس اصابعها) مصبوغة بلون احمر .

وقد عرف الجاهليون هذه المزايا الفنية للنابعة فكان بعضهم يحتكم اليه في سوق عكاظ ، فمن الذين احتكموا اليه حسّان بن ثابت الانصاري « شاعر الرسول فيما بعد » والخنساء تماضر بنت عمرو الشريد ، وهي ايضاً شاعرة مخضّرة .

فنونه

النابعة اكثر اهل الجاهلية فنون شعر :

١ - المديح

مدح النابعة تكسباً حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقاد . قال ابن رشيّق (١ : ٢٦ و ٦٤) : « وانما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل مثلاً يضع من قدر الشريف الكامل ، وانه اسنى مروءة الدني ، وادنى مروءة السري ... وذلك إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الحامل اذا مدح به مثلاً يضع (يخفض) من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً ، كالذي يؤثر من سقوط النابعة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان (النابعة) اشرف بني ذبيان . هذا ، وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم ... وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع احدهم ما يصنع فكاهاة او مكافاة عن يد لا يستطيع أداء حقها الا بالشكر ، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المعلى :

أقر حشاً امرئ القيس بن حُجر بنو تيم مصابيح الظلام
لان المعلى احسن اليه واجاره حينما طلبه المنذر بن ماء السماء . . . حتى نشأ النابعة
فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر - وكان قادراً على
الامتناع منه بمن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك غسان - فسقطت
منزلته . وتكسب (النابعة) مالا جسيماً حتى كان اكله وشربه في صحاف الذهب
والفضة ، واوانيه من عطاء الملوك .

ولا ريب في ان المديح فن حضري لا بدوي ، لان عزة البدوي تأبى عليه
التكسب بالمديح الا اذا تحضر وانكسرت فيه سورة البداوة كحال النابعة

والاعشى ، او إذا كان حضرياً في الاصل كحسان بن ثابت .

وقد خص النابغة بمديحه المتأذرة ملوك الحيرة والنعمان ابا قابوس على الاخص ، ثم الغساسنة ملوك الشام . وفي مديح النابغة اغراض حضرية كوصف الصيد للهو ووصف السفر في النهر والمبالغة في خلع الصفات على الممدوح والغزل الرقيق . فمن امثلة مديحه الجيد قوله يمدح عمرو بن الحارث الغساني بعد ان هرب من النعمان وجاء الى جليق :

- كـلـيـنـي لـهـم يا اُمـيـمـة ، نـاصـب
تـطـاـوـل حـتـى قـلـت لـيـس بـمـنـقـض
وـصـدـر اُـرـاح الـلـيـل اُـعـازـب هـمـه (١)
عـلـي لـعـمـرـو نـعـمـة بـعـد نـعـمـة
حـاـفـت يـمـيـنـاً غـيـر ذـي مـشـوئـة (٢)
وـثـقـت لـه بـالـنـصـر اِذ قـيـل قـد غـزـت
بـنـو عـمـة دـنـيـا و عـمـرـو بـن عـامـر ،
اِذَا مـا غـزـوا بـالـجـيـش حـلـقَ فـوقـهـم
جـواـنـحُ قـد اَيقـنَ اَن قـبـيـلـه ،
و لـيـل ، اُفـاسـيـه ، بـطـي ، الكـواكـب (١)
و لـيـس الـذـي يـهـدـي النـجـوم بـاَيب (٢)
تـضـاعـف فـيـه الحـزـن مـن كـل جـانـب .
لـو اـلـدـه لـيـسـت بـذات عـقـارـب (٣)
و لا عـالمَ الا حـسـن ظـنَّ بـصـاحـب .
كـتـائبُ مـن غـَسَّـازَ غـيـر اَشـايـب (٤)
او لـئـك قـومُ بـأسـهـم غـيـر كـاذـب (٥)
عـصـائبُ طـيـرٍ تـهـتـدي بـمـصـائب (٦)
اِذَا مـا التـقـى الجـمـعـان ، اَوَّلُ غـالـب (٧)
اِذَا مـا التـقـى الجـمـعـان ، اَوَّلُ غـالـب (٨)
اِذَا مـا التـقـى الجـمـعـان ، اَوَّلُ غـالـب (٩)

(١) كليني : اتركيني ، دعيني . حق « اُميمة » ان تكون مبنية على الضم لانها منادى مقصود بالنداء ولكنها رويت بالنفع (راجع الاغانى ١١ : ١٦-١٧) ناصب : منصب ، متعب . بطي . الكواكب : طويل ، لا تغرب نجومه بسرعة . (٢) التي تهدي النجوم : النجوم التي تطلع « تظهر » في اول الليل . آيب : راجع الى مسقط رأسه « غائب » . (٣) اعاد الليل اليه هم الذي كان قد نسيه في النهار . (٤) لم يلحقها من ولا اذى . (٥) لا استثنى فيها شيئاً . (٦) اشايب : اخلاط - يقصد ان الغازين من بني غسان فقط . (٧) دنيا : بنو عمه الافريون . بأسهم غير كاذب : لا جبن فيه . (٨) عصائب جمع عصابة : جماعة . (٩) جوانح : مائلات .

لمن عليهم عادة قد عرفتُها

إذا عرّض الخطيُّ فوق الكواثب (١).

على عارفات للطعان عوابس بهن كلوم بين دام وجالب (٢).

إذا استنزّلوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٣).

فهم يتساقون المنيّة بينهم بأيديهم بيض رقاق المضارب.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (٤).

تورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب (٥).

تقدّ السلوقي المضاعف نسجه ، وتوقد بالصنّاح نار الحبّاحب (٦).

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عواذب (٧).

محلّتهم ذات الآله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب (٨).

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يُجيّون بالريحان يوم السباسب (٩).

تحييهم بيض الولائد بينهم وأكسية الأضريح فوق المشاجب (١٠).

(١) إذا وضعت الرماح مستعرضة أمام القربوس « مقدمة السرج » - دلالة على ذهابهم إلى الغزو
(٢) عارفات : صبرات . كلوم : جروح . دام : الجرح الدامي الجديد . جالب : الجرح القديم الذي برؤ ولكنه ترك أثراً . (٣) إذا اشتدت الحرب والنعم المتحاربون نزّلوا عن خيولهم . أرقلوا : أسرعوا في الصعود - كناية إلى استماتتهم في القتال (٤) فلول : ثلوم . القراع : القتال .

(٥) يوم حليلة : معركة انتصر فيها الغساسنة على المناذرة في سهل قنسرين « شمالي سورية » .

(٦) السلوقي : الدرع المنسوب إلى سلوقية « ؟ » وتقده الشر في الصخر القاسي . نار الحبّاحب : الشر الذي يتطاير من فرقة المواد المحترقة . (٧) شيمة : عادة . الاحلام : العقول . عواذب : بعيدون .

(٨) محلّتهم ذات الآله ؟ : العواقب : العواقب الحميدة . (٩) رقاق النعال : كناية عن الفنى والنعمة ، لا يجملون نعالهم صفيقة بل رقيقة . حجزاتهم : ما يمحز بين بيوتهم ، كناية عن المقاف . السباسب :

عيد الشفانين (١٠) الولائد جمع ولادة : الجارية . الأضريح : الحرير الأحمر ، الأرجوان . المشجب : ما تعلق عليه الثياب - يعني أنهم يوم عيدهم ينشرون أثواب الحرير « يزينون بها » وتقف الجوارى ثم يحييهم عند مرورهم .

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخااصة الأردن خضر المناكب (١).
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ، ولا يحسبون الشر ضرباً لازب (٢).

٢ - الاعتذار :

وكذلك الاعتذار في شعر النابغة ميزة حضرية لا بدوية ، فان عنترة او طرفه ما كانا يعتذرا او يذلا انفسهما كما فعل النابغة - ولو كانت التهمة صحيحة . ان موقف النابغة امام النعمان موقف متذلل خائف لا يريد ان يغضب النعمان حتى لا تنقطع عنه صلته وعطاياه . انه لا ينكر التهمة انكار رجل عزيز النفس او انكار رجل بريء جريء ، ولكنه يحاول ان يتعطف النعمان بكل سبيل لاطهاره نفسه دائماً انه لا يحسر على ان يقول مثل هذا الكلام الذي نسب اليه ، ثم يجعل نفسه في كل ذلك « عبداً » يتقبل القصاص برضى او ينتظر العفو من سيد متفضل . وهو يكثر من الأيمان المغلظة ان الناس صنعوا ذلك على لسانه او كذبوا عليه فيه . ومع ان النابغة قد حط من مقدار نفسه في هذه القصائد من الناحية الخلقية ، فانه قد وهب الادب العربي فناً جديداً : انه حذق التعبير عن موضوع جديد ، وفتح امام الشعراء المتأخرين باب « العتاب السياسي » .

اما ابرز اعتذارياته فهي التي تلي :

أثاني ، أبيت اللعن ، انك لمُتني وتلك التي أهنم منها وانصب (٣)
فبت كأن العائدات فرشن لي هراساً به يعل فراشي ويقشب (٤).

(١) اردانها « رؤوس الاكمام فيها » بيبض ، وما على اكنافها اخضر ، قيل انها على مثال ثياب الملوك . (٢) ضربة لازب : دائم ، ثابت - يمتدون ان كل حال تتبدل ، فيكون بعده الخير شر ، او بعد الشر خير .

(٣) ابيت اللعن : كرمت عن ان اذني امرأ تلعن به . اهنم منها : بصير لي منها هم . انصب : اتعب . (٤) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : نبت له شوك . يقشب : يخاط ويحدد - أنالني كأنني نائم على فراش من شوك .

حَلَفْتُ ، فلم أترك لنفسك ريبة ، وليس وراء الله للمرء مذهب (١) .
 لأن كنت قد بُلِغْتَ عني خيانةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب .
 ولكنني كنت امرأاً لي جانب من الارض فيه متراد ومذهب (٢) :
 ملوك واخوان اذا ما أثبتهم أحكم في أموالهم وأقرب .
 كفعلك في قوم أراك اصطفتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .
 فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار أجرب .
 ألم تر ان الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب (٣) :
 فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدأ منهن كوكب .
 ولست بمستبقٍ اخاً لا تأمهُ على شعث . اي الرجال المهذب (٤) .
 فان أكْ مظلوماً فعبد ظلمته ، وان تك ذاعبى فمثلك يُعْتَب (٥) .

ثم نجده في هذه القصيدة التالية يعيد ما قاله من قبل ، ولكنه يزيد في اظهار تذله وتظلمه ، ولا يغفل في كل ذلك عن ان يُنَوِّه بعباء النعمان بما يدل على انه يحرص على عطاء النعمان اكثر من حرصه على رضاه :

أتاني ، أبنت اللعن ، انك لمتني ، وتلك التي تستك (٦) منها المسامع :
 مقالة ان قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع (٧) .

(١) حلفت يميناً « بالله » لا يترك في نفسك شكاً في صدقي ، وليس ثمة بين اعظم من اليقين بالله .
 (٢) متراد : مكان اردوه « اذهب اليه » - كان لي مكان تعودت الذهاب اليه . (٣) سورة : منزلة . يتذبذب : يضطرب - يجهد الملوك ان ييلفوا منزلتك فلا يستطيعون .

(٤) الشعث هنا العيب او النقص . تله : تضمه اليك - اذا كنت لا تصاحب احداً فيه عيب فقدت جميع اخوانك ، وهل في الارض رجل كامل ؟ (٥) العتبي : الرضى - انا عبدك فان كنت قد خلعتي فقد قبلت امانتك هذا الظلم ، وان كنت انا مذنباً فمثلك من يعفو . (٦) تنسد ، تصبغ صماء - ليتني اصبت بالصمم ولم اسمع انك لمتني . (٧) تلقاء : عند . رائع : مخيف ، مفرع .

لَعْمَرِي ، وما عَمَرِي عَلِيَّ بَهَيْنِ ،
 أَقَارِعَ عَوْفٍ لَا أَحَاوِلَ غَيْرَهَا .
 أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطَنٌ لِي بَغْضَةً
 أَتَاكَ بِقَوْلِ هَاهِلٍ النَّسِجِ كَاذِبًا ،
 أَتَاكَ بِقَوْلِ ، لَمْ أَكُنْ لَا قَوْلَهُ
 حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ،
 بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثْبَرَةٍ
 عَلَيْهِنَ شُعْتُ عَامِدُونَ لِحُجْهِمْ ؛
 حَمَلْتُ عَلِيَّ ذَنْبَهُ وَتَرْكْتُهُ ،
 كَذِي الْعَرَّ يُكْوِي غَيْرَهُ وَهُوَ رَاتِعٌ (٩) .

فَمَنْ كَانَ لَا يَهُوِي هَوَاكَ فَقُطِّعَتْ
 فَإِنْ كُنْتَ لَا ذُو الضُّعْنِ عَنِي مَكْذَبٌ
 وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ ،
 سِرَابِيلٌ مِنْ نَارٍ لَهُ وَبِرَاقِعٌ (١٠)
 وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبِرَاءَةِ نَافِعٌ ،
 وَأَنْتَ بَأْمَرٍ لَا مَحَالَةَ وَاقِعٌ (١١)

(١) العَمَرُ « بفتح العين » الحياة وهو للقسَم - أي احلف بحياي انا ، وذلك عزيز علي . (٢) أقارِع عوف : بنو قريع بن عوف وهم الذين وشوا به إلى النعمان . لا أحاول « لا أتهم » غيرهم . جادعه : شاتمته وسابته . (٣) مستبطن : مضمَر . من عدو : من عدو لي . شافع : معين . وه (هاهل) : سخيف . رقيق . ولو قيدت يداي بالجوامع « الاغلال » . (٦) اثم يأثم : اكتسب ذنباً . امة : دين . (٧) مصطحبات : تصطحب معها الحجاج . لصاص وثبرة : مكانان في ديار ضبة . الالال قمة في جبل عرفات بمكة . سيرهن التدافع : مسرعات . (٨) الشعر الاشعث : المغبر والذي على غير نظام . عامدون : قاصدون - اما النياق فهي نخيلة محنية « كالقوس » . خاضعة « أي منخفضة » (٩) تركت صاحب الذنب الاصيلي واتهمتي انا ، كمثل الابل يكوى الجمل الصحيح « كيلا يعدى بالجرب » ، واما الجمل الاجرب فيترك بعيداً يرعى « ولا يكوى » . (١٠) لا يهوى هواك : لا يحب ما تحب انت . قطعت : فصلت « أي البس » . سربال : ثوب . برقع : غطاء الوجه . (١١) انت امام امر واقع .

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المُنتأى عنك واسع (١) :
 خطاطيفُ حُجنٌ في حبالٍ متينة تمدُّ بها أيديك نوازع (٢) ،
 أتوعد عبداً لم يُخنك أمانةً ، ونترك عبداً ظالماً وهو ظالع (٣) ؟
 وانت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع (٤) !

٣ - الهجاء (والشعر السياسي)

الهجاء في ديوان النابغة قليل ولكنه منقسم قسمين : هجاءً شخصياً وهجاءً قَبلياً
 فمن هجائه الشخصي رده على الشاعر المشهور عامر بن الطفيل - وكان اصغر من
 النابغة - فهجاءه بأن صغره وفضل عليه أباه وعمه وعيره بالجهل والصبي فقال له :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مظنة (٥) الجهل الشبابُ

فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب .

ولا تذهب بجهلك ظاميات (٦) من الخيلاء ليس لهن باب .

فإنك سوف تحأم أو تنأهي (٧) إذا ما شئت أو شاب الغراب .

أما هجاؤه القبلي ففيه فخر بنفسه وقومه ويمكن أن يسمى الهجاء القبلي (أو الشعر
 السياسي) لأنه يتعرض للأحزاب وللعصبيات . ثم إن الغاية منه ليس هجاء الشخص
 المخاطب بالهجاء في الدرجة الأولى ، بل تبيان فضل قبيلة الهاجي على قبيلة المهجو ،
 وكان الإسلام قد حرم الهجاء القبلي لما يذكي من العداوة ، ولكن الهجاء القبلي عاد
 فانتسح مع مجيء بني أمية وتنازع الأحزاب على الخلافة .

(١) مها ابتعدت عنك فلا استطيع أن انجو منك ، لأنك كالليل الذي يصل إلى كل بقعة من الأرض .

(٢) خطاطيف : قطع حديد تعلق بها الأشياء . حجن : عوج . نوازع : جواذب . (٣) ظالع :

جائر ، مائل عن الحق . (٤) السيب : العطاء .

(٥) مكان ، أي الجهل يكون مع الشباب . (٦) المياه العالية : التيار . (٧) تحم أو تنأهي : تصبح

عاقلاً أو ينتهي أو ان جهلك .

والنابغة يبدي دائماً اشفاقاً على المهجور يسدي اليه النصائح مع شيء من التهديد
والوعيد كما فعل في شأن زُرعة بن عمرو بن خويلد حينما أشار عليه زُرعة ، وقد لقيه ،
بان تترك ذبيان حلف بني اسد ، فابى النابغة . فجعل زُرعة يتوعد النابغة ، فقال النابغة :
نُبِّئْتُ زُرْعَةَ ، وَالسَّفَاهَةَ كَأَسْمَا (١) يَهْدِي إِلَيَّ غُرَابُ الْأَشْعَارِ (٢) .
فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو أَنِّي مِمَّنْ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضَرَارِي (٣) .
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظَ حِينَ لَقِيتَنِي تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِي (٤) ؟
إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا : فَتَأْتِيَنَّكَ قَصَائِدُ ، وَلَيَدْفَعَنَّ (٥) .
رَهْطُ ابْنِ كَوْزُحٍ حَقْبِي أَدَارِعُهُمْ (٦) . جِيْشُ الْيَكْ قَوَادِمِ الْأَكْوَارِ (٦) .
وَبَنُو قُعَيْنَ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ فِيهِمْ ، وَرَهْطُ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارٍ .
حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَعْصُونَنِي آتُوكَ غَيْرَ مُقْلَمِي الْأَظْفَارِ .
٤ - الرثاء وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِي .

والرثاء في ديوان النابغة اقل من الهجاء فيه . ورثاء النابغة لا عاطفة فيه ، بل
هو باب من مديحه ، وقد تجد فيه شيئاً من الحكمة كقوله في رثاء صُخَارِ أَخِيهِ
لأبيه وامه :

لَا يُهْنِي النَّاسَ مَا يَرَعُونَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ ،
بِمَدِّ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّأْوِي عَلَى أَبَوِي أَضْحَى بِلَدَةٍ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ .

(١) السفاهة «قيحة» كَأَسْمَا (٢) يهجوني . (٣) الفرار : المقابلة بالضرر - اني اذا رددت على
هجائك بهجاء ، كان هجائي أشد . (٤) نافستني في سوق عكاظ في قول الشعر فلم تستطع ان تقول مثل
شعري (٥) برة : البر والوفاء . فجار : الفجور والفدر - انت دعوتني الى الفدر ببني اسد فلم اقبل
فكنت انا بذلك بارأ وكنت انت غادراً . (٦) قوادم الاكوار كناية عن ركوب الابل - يعني
سيغزونك . (٧) محبو ادراعهم : واضعين دروعهم خلفهم استعداداً للقتال .

سهل الخليفة مشاءً باقدحه الى ذوات الذرى حمال أثقال (*) .
حسب الخليلين نأي الارض بينهما: هذا عليها وهذا تحتها بالي ا
وقصيدة الرثاء عند النابغة قصيدة جاهلية فيها اطلال ونسيب ووصف للناقبة
ومديح ورثاء وتأمل في الحياة . فالرثاء اذن عند النابغة لا يزال غرضاً من اغراض
القصيدة لا فن قائم بنفسه . قال النابغة يرثي ابا حجر النعمان بن الحارث الغساني :
دعاك الهوى واستجهلتك المنازل .

وكيف تصابي المرء والشيب شامل (١) ؟
وقفت برّبع الدار قد غيّر البلى معارفها والساريات الجواطل (٢) .
أسائل عن سُعدى ، وقد مرّ بعدنا على عرصات الدار سبع كوامل (٣) .
وسلّيت ما عندي بروحة عيرمس تحبُّ برحلي تارة وتناقل (٤) .
فلا يهنيء الاعداء مصرع مأكهم ، وما أعتقت منه تميم ووائل (٥) .
وكانت لهم ربعية يحذرونها إذا خضخضت ماء السماء القبائل (٦) .
يسير بها النعمان تغلي قدوره تجيش باسباب المنايا المراحل (٧) .
يقول رجال ينكرون خليقتي لعل زياداً ، لا ابا لك ، غافل (٨) .
أبى غفلتي أني اذا ما ذكرته تحرك داء في فؤادي داخل .
وأن تلادي ، ان ذكرت ، ويشكي ومهري ، وما ضمت اليّ الا نامل

• (يحمل نصيبه من لحوم الابل في لعب الميسر الى ذوات الذرى (?) ويخدم الناس .

(١) حملتك على الجهل « طيش الصبا » . (٢) المعارف : العلامات التي تعرف بها الاشياء . الساريات الجواطل : السحب المطيرة . (٣) العرصة : باحة الدار . سبع « سنوات » كاملة . (٤) العرمس : الناقبة الشديدة . الحب والمناقلة نوعان من سير الابل . (٥) اعتق : « هنا » نجا - بموته نجت قبيلتنا تميم ووائل من الغزو . (٦) ربعية : غزوة في الربيع (الخريف) خضخضت ماء السماء القبائل : اذا بدأ الناس يستقون الماء من الآبار بعد انقطاع المطر (٧) يضطرم الموت في قدوره ومراحل « صدور الجيش » . (٨) يقولون ان النابغة « زياداً » نسي النعمان بعد موته .

- حَبَاؤُكَ ، وَالْعَيْسُ الْعَتَلَقُ كَأَنهَا
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَدَّعْتَ غَيْرَ مُنْهَمٍ
فَلَا تَبْعَدَنَّ (٣) ، إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهَلْ ،
فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا
فَإِنْ تَحْيَا ، لَا أَمَلَلُ حَيَاتِي ، وَإِنْ تُمُتْ
فَآبَ مُصَلَّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةَ
سَقَى الْغَيْثَ قَبْرَ أَبِي بَصْرَى وَجَاسِمٍ
بِكَيْ حَارِثِ الْجَوْلَانِ مَنْ فَقَدَ رَبَّهُ
سَجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ
هَجَّانُ الْمَهَا تُحْدِي ، عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ (١) .
أَوَاسِي مُلْكُ ثَبَّتَتْهُ الْإَوَائِلُ (٢) .
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَائِلٌ !
أَبُو حُجْرٍ ، الْإِلْيَالُ قَلَائِلُ (٤) .
فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ (٥) .
وَعُودُ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ (٦) .
ثَوِي فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ (٧) .
وَحُورَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مَتَضَائِلُ (٨) .
وَتُرْكُورُهُ طَالِيعُ الْعَجَمِينَ وَكَأْبِلُ (٩) .

٥ - الوصف

وصف النابغة حضري ، وهذا ما يميزه من وصف أكثر الشعراء الجاهليين ، فلقد عاش النابغة في المدن (في الحيرة وفي جَلَّتْ) أكثر مما عاش في البادية . وكان شاعر بلاط يعيش في الترف ويعاشر الملوك والأمراء . ومع أن الوصف لم يكن عند النابغة فناً مستقلاً فإنه كان بلا ريب غرضاً بارزاً في قصائده .

وإذا نحن صرفنا النظر عن بعض الأغراض الجاهلية في الوصف عنده كوصف الأطلال

- (١) الشكوة : السلاح . الحباء : العطاء . العيس العتاق : النياق الكريمة الأصل . هجان المها : الظباء البيض . تحدى : تساق . الرحائل جمع رحالة : السرج (٢٠) أواسي : الدعائم . (٣) ندبة الميت ، كأنهم لا يصدقون أنه مات فيقولون له لا تبعد ولا تهلك . (٤) لو لم يمت لجاءنا منه خير «عطاء» سريع . (٥) فائدة . (٧ و٦) مصلوه : دافئوه ، راجع قوله تعالى في سورة الحاقة « ٦٩ : ٣١ - ٣٢ » خذوه فقلوه . ثم الجحيم صلوه . عين جلية : خبر واضح (بموته) . نائل : عطاء . النوافل : العطايا . (٩) حارث الجولان : المزارعون في سهل الجولان . ربه : ملكه . وجبل حوران أوحش بعده وتضائل «صغر» . (٩) غسان فاعل سجدوا . أوبه : رجوعه وهي هنا عطاؤه . كابل : بلاد أفغانستان - يقول كان كل الناس يرجون خيره .

ووصف الناقة ووصف المطر ووصف الليل ووصف الصيد ، فاننا لا نستطيع الا ان نشير الى بعض الاوصاف الحضرية كوصف ايام العيد ووصف الجيش الذاهب الى الحرب ووصف الليل وقدمت نماذجها في ما اخترناه من قصائده في المديح والاعتذار .
واما وصف الناقة وتشبيهها بالثور الوحشي ، ووصف الصيد ووصف المطر وسقوط البرد ووصف دجلة الهائجة بما برز في شعر النابغة بروزاً خاصاً فسترى نماذجها في معلقته الدالية . وللنابغة وصف حسبي بارع تراه في اغراضه التي عدناها وتراه في وصفه للحية :

صِلْ صَفَا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقَصَرِ ، طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرِ (١) .
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ ، كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ (٢) .
مَهْرُوتَةُ الشِّدْقَيْنِ حَوْلَا ، النَّظَرُ تَفْتَرُّ عَنْ عُوجِ حَدَادِ كَالْأَبْرِ (٣) .
ولا ريب في ان النابغة من اوصاف شعراء الجاهلية ان لم يكن اوصفهم . وعلى الاخص اذا علمنا ان تنوع الوصف الصق بالاغراض الحضرية منه بالاغراض البدوية .

٦ - النسب والغزل والمجون

وهذه ايضا تغلب عليها عند النابغة خصائص الحياة الحضرية ، فالنسب قديكون عنده تقليديا ولكنه رقيق ناعم عذب فصيح الالفاظ سهل التراكيب يمس العاطفة كما ترى في مطلع قصيدته في رثاء النعمان بن الحارث الغساني . وكذلك يظهر نسبه وغزله حضرياً رقيقاً دقيقاً أشد تأثيراً في العاطفة واصدق تعبيراً عما يريد الشاعر كما يظهر في مقدمة قصيدته التي عدّها ابو زيد القرشي (٤) في المعلقات :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمِ دَمْنَةَ الدَّارِ . ماذا تحيون من نؤي واحجار (١) ؟

(١) حبة صخرية قصيرة جداً تخفض رأسها كثيراً ولكن ليس من الحياء « اذا لدغت الحبة وارادت ان تفرغ سمنها من انيابها قلت رأسها » . (٢) داهية : الامر العظيم ، المصيبة - اذا كبر الانسان جفت الغضاريف التي بين خريزات عموده الفقري فقصرت قامته . (٣) واسعة الفم ، ينفتح فمها عن انياب عوج حادة . (٤) جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الرحمانية ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م ، ص ٧٧) (٥٠) عوجوا : ميلوا ، اعطفوا رؤوس مطاياكم الى . النؤي : الخندق الذي يحفر حول الخيمة ليمنع تسرب الماء اليها .

- وقفت فيها، سَراةَ اليومِ أسألها
 فاستعجمت (٢) دار نعم لا تُكَلِّمُنَا
 وقد أراني ونعمًا لاهيين بها
 أيامَ تخبرني نعمُ وأخبرها
 لولا حباثلُ من نعمٍ علقت بها
 فإن أفاق لقد طالت عمايته .
 نَسِيتُ نعمًا على الهجران عاتبةً ،
 رأيتُ نعمًا واصحابي على عجل
 فربيع قلبي وكانت نظرةً عَرَضَتْ
 بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدُها
 والطيب يزداد طيباً ان يكون بها
 تُسقي الضجيع ، اذا أُسْدَسَقِي ، بذِي أشر ،
 عَذِبُ المذاقة بعد النوم ، نِخَار (١١) .
 كَانَ مَشْمُولَةً صَرْفًا بِرِيقَتِهَا مِنْ بَعْدِ رَقْدَتِهَا وَشَهِدَ مَشْتَار (١٢) .

(١) سراة : وسط . امونا : ناقة قوية « وهي مفعول به من وقفت » . عبر اسفار : كثيرة السفر
 مقتدرة عليه . ٢) خرست . ٣) اراني : لا ازال اتخيل اني الهو مع نعم في تلك الدار .
 الامرار : المرور والذهاب . ٤) حاجاتي . ٥) لارعوى ورجع وصحا . ٦) الانسان يتقلب في
 حياته ويتطور . ٧) زرى : غاب وعاب . ٨) وضعت الرحال على العيس « النياق » للرحيل .
 ٩) ربيع : أخيف . في المراجع « نظرة » منصوبة - والاصوب ان تكون مرفوعة « فاعل كان » .
 حيناً : موتاً « وهو مفعول به من عرضت » ١٠) تقول فحشاً « سوءاً » ١١) اشر : خطوط « في
 الاسنان » دلالة على نظافتها من كل مادة هلامية عليها . حلوا الرائحة والمذاقة حتى حينها تستيقظ من نومها .
 نِخَار : يفعل فعل النحر . ١٢) المشمولة : النحر الباردة . صرفاً : غير ممزوجة بلاء . الشهد « بالفتح
 والكسر والضم » العمل . اشتار العمل : قطعه .

أقول والنجم قد مالت أواخره الى المغيب: تثبت نظرة حار (١).
 ألحمة من سنا برق رأى بصري ، ام وجهه نعم بدا لي ام سنانار ؟
 بل وجهه نعم بدا والليل معتكر فلاح من بين أثواب وأستار .
 ان الحمول ، التي راحت مهجرة يتبعن كل سفية الرأي مغيار ، (٢)
 نواعم مثل بيضات بمحنية يحفهن ظليم في نقاً هار (٣).
 إذا تغنى الحمام الورق هيّجني ولو تغربت عنها أم عمار .

٧ - الادب والحكمة والقصص

ومع ان النابغة ليس مشهوراً بالحكم كزهير، وليس في شعره حكم كما في معلقة
 طرفه ، فان له ابياتاً تخلق بالاستشهاد. وبما انه حكمه مستمدة من الاختبار الطويل
 فهي من اجل ذلك اوثق صلة بحكم زهير منها بحكم طرفه . من ذلك كله كقوله :
 ولست بمستبق أخاً لا تُلْمُهُ على شعث ؛ اي الرجال المذهب ؟
 * فان يك عامر قد قال جهلاً فان مظنة الجهل الشباب ...
 * امرء يأمل ان يعيش ، وطول عيش قد يضُرُّه
 تفنى بشاشته ، ويبقي بعد حلو العيش مُرُّه ،
 وتخونه الايام حتى لا يرى شيئاً يسره .

(١) حار : ترخيم حارث - يا حارث . (٢) الحمول : النساء الراكبات على الابل . مهجرة :
 في نصف النهار . مغيار : شديد الغيرة - يقول الشاعر هؤلاء النسوة يتبعن رهين الذي انتقل بهن من
 هنا لانه يغار عليهن . سفية الرأي : ضعيف الرأي

(٣) نواعم خبر ان في البيت السابق . وهن يشبهن بيض النعام التي بيضت على جانب الوادي
 ثم قام على حضنها الظليم « ذكر النعام » في تلة صغيرة من الرمل . الهاري والهاثر : الذي ينهار تحت
 الاقدام ، غير متمسك . الورق جمع ورقاء : حمامة . ام عمار : محبوبة الشاعر .

كم شامت بي إن هلكتُ وقائلُ لله دَرُهُ ١
 ويلحق بباب الادب (الحكمة) باب القصص ، وذلك ان النابغة يضرب احياناً
 في شعره امثالا ويسوقها سوقاً قصصياً . وله في ذلك قطعة مستقلة هي مثل الرجل
 والحية . فقد زعموا ان حية قتلت رجلاً في حديث طويل فجاء اخوه الى مكانها
 واراد ان يقتلها انتقاماً لاختيه . فخرجت اليه وقالت له : انني ندمت على قتل
 اخيك وسأدفع لك دِيَّتَهُ ، ديناراً كل يوم ، فكانت تأتية مرة بعد مرة دينار . فلما
 اغتنى عاد فذكر ثأر اخيه فاعد فأساً وجاء الى جحرها ليقبض الدينار . فلما خرجت
 عاجلها بضربة فأس اصابت طرف ذنبها فقطعته ولكنها نجت وبعد مدة اراد
 ان يصالحها على ان ينسى هو ثأر اخيه وتنسى هي محاولة غدره بها وان ترجع فتؤدي
 اليه ديناراً كل يوم ، فقالت له : ما دمت انت ترى قبر اخيك امام عينيك وانا
 ارى اثر فأسك في ذنبي فلا سبيل الى الصلح . وامثال هذه الخرافة نادر في الشعر
 الجاهلي . قال النابغة :

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضِّغْنِ مِنْهُمْ ،

وما أصبحت تشكون الوجد ساهرة (١) ،

كما لَقِيتُ ذاتُ الصِّفا من حليفها ،

وما انفكت الامثال في الناس سائره (٢) .

فقالت له : « ادعوك للعقل وافراً ولا تغشيني منك بالظلم بادره » (٣)

فوائتها بالله حين تراضيا ، فكانت تريه المال غيباً وظاهره (٤) .

فلم اتوفي العقل الا أقله (٥) وجارت به نفس عن الخير جائره .

تذكر أني يجعل الله جنة ، فيصبح ذامال ويقتل واتره (٦) .

(١) التي اسهرها العشق ؟ (٢) الحية (٣) العقل : الدية . بادرة : اعتداء (٤) الظاهرة : نصف النهار . الغيب : يوماً بعد يوم - كانت تؤدي اليه كل يومين ديناراً (٥) اخذ اكثر الدية . جارت : حادثت ، مالت ، ضلت (٦) الجنة : الستر - كيف يمكن للحية ان تنجو منه .

- فلما رأى ان ثَمَرَ الله ماله ،
أكبَّ على فأس يُحِدُّ غرابها
فقام لها من فوق جحر مشيد
فلما وقاها الله ضربة فأسه .
فقال : « تعالي نجعلُ الله بيننا
فقلت : « يمين الله افعلْ ، انني
أبى لي قبر لا يزال مقابلي ،
واثل موجوداً ، وسد مفقره (١) .
مذكرة من المعاول بآثره (٢) .
ليقتلها او يخطىء الكف بآدره (٣) .
وللبر عين لا تغدض ناظره (٤) !
على مالنا ، او تُنجزي لي آخره » .
رأيتك غداً رأيتك فاجرته (٥) .
وضربة فأس فوق رأسي فآقره (٦) !

(١) ثمر : أكثر «المال» . أثل : ادام «للبنيان» . سد مفقره : سد وجوه فقره ، اغناه (٢) غراب
الفأس : حدها . يحدها : يشحذها ، يسنها . مذكرة : وضعت الذكرة «بضم فسكون» وهي قطعة
من الفولاذ ، في راسها . بآثره : قاطعة - الفأس المذكرة : الشديدة الصابة والتي عولجت حتى اصبح
طرفها القاطع كالفلواز . (٣) الجحر : المأوى المحفور في الارض . يخطىء الكف بآدره : اي لا
يضرب في الوقت المناسب . (٤) وقاها : حفظها . البر : «هنا» الله . (٥) لا افعل ، فان لا النافية
تُحذف بعد القسم عادة (٦) الفآقرة : التي تكسر فقار الظهر «عظام السلسلة الفقرية» .

معلقة النابغة

نظم النابغة معلقته هذه بعد ان فارق النعمان بن المنذر ابا قابوس الى بلاط
الغساسنة عام ٣٢ ق. هـ (٥٩٠ م) فهو يمدح فيها النعمان ويعتذر اليه عما سبق للواشين
ان رموه به . ولا ريب في ان المعلقة امتن شعر النابغة واكثره نضجاً واجمعه
لاغراض الشعر في ديوانه ، ففيها وصف للاطلال مفصل ووصف للناقة دقيق ،
وفيهما وصف للصيد الحضري وفيها مديح واعتذار وقصص ، وفيها وصف لنهر
الفرات . - ومع شهرة هذه القصيدة بانها المعلقة فان ابا زيد القرشي قد ذكر له
« عوجوا فحبوا لنعم دمنة الدار » على انها المعلقة . اما الزوزني فلم يذكر النابغة
قط في « شرح المعلقات السبع » . ولكن هذه القصيدة ادل شعر النابغة على خصائصه
وفنونه وشاعريته :

يا دار ميةً بالعليا ، فالسند ، اقوت وطال عليها سالفُ الابد^(١) .
وقنت فيها أصيلاً^(٢) كي أسألها ، عيت جواباً . وما بالربع من أحد
الْأَواري^(٣) ، لأيا ما أبيتها . والنوي كالخوض بالمظلومة الجلد^(٤) .
رُدَّتْ عليه اقاصيه ، وأبدته ، ضرب الوليدة بالمسحاة في الثاد^(٥) .
خلَّتْ سبيلَ أتيّ كان يجديسه ، ورفعته الى السجنين فالنضد^(٦) .
أضحت خلاءً ، وأضحى أهلها احتملوا ، أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(٦) .

(١) خلت من أهلها . (٢) العصر : منتصف الوقت بين الظهر والمغرب . (٣) الأواري :
معالف الخيل والاماكن التي تربط الخيل فيها . المظلومة : الأرض . الجلد : الأرض الغليظة لا
حجارة فيها ؛ الوليدة : الجارية . المسحاة : المجرفة . الثاد : التراب الندي . (٤) الاتي : السبل .
السجف : الستر . النضد : متاع البيت . رفعته « هنا » قدمته ، قربته (٦) لقد محا آثار هذه الدار
الدهر الطويل الذي أهلك لبد « وهو نسر للنعمان ابن عاد عاش مائتي عام فيما قيل » .

- فعدّ عما ترى اذ لا ارتجاع له ، وانمّ القنود على ديرانة أجد (١) .
 مقدوفة بدخيس النحض ، باز لها له صريف صريف القعوب بالمسد (٢) .
 كأن رحلي ، وقد زال النهار بنا يوم الجليل ، على مستأنس وحده (٣) .
 من وحش وجرة ، موشي اكارعه ،
 طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (٤) .
 سرت عليه من الجوزاء سارية تُرجي الشمال عليه جامد البرد (٥) .
 فارتاع من صوت كلاب فبات له
 طوع الشوامت من خوف ومن صرد (٦) .
 فبهن عليه ، واستمر به صمغ الكعوب بريئات من الحرّ (٧) .

(١) اترك هذا « وصف الاطلاع » اذ لا فائدة منه ، وارفع رحلك على ناقة قوية شديدة « يعني سافر »
 (٢) مقدوفة بدخيس النحض : ذات لحم مكتنز . البازل : سن يطلع للناقة اذا كملت قوتها . لهذا
 السن صوت كهووت جبل من ليف يجري على بكرة من خشب « دلالة على شدة الصوت الذي تحدته
 هذه الناقة » . (٣) زال النهار : اصبحت الوقت بعد الظهر . الوحيد : الحيوان المتوحش العائش في البرية .
 المستأنس : المقرب من مكان الانس ، من الحضر « ويكون عادة كثير النفور مضطرباً » . الجليل :
 اسم موضع . (٤) موشي اكارعه : قوائمه مخططة خطوطاً سوداً وبيضاً . طاوي المصير « المصير » : ضامر
 البطن . الصيقل : صانع السيوف . الفرد : الوحيد - اذا كان للصيقل سيف وحيد فهو يشحذه دائماً فيصبح
 رقيقاً جداً . (٥) امطرت عليه سارية « سحابة » ترجى : ترمل ، تسقط . الشمال : ريح الشمال . جامد
 البرد : قطرات الماء المتجمدة « البرد » . (٦) ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب .
 طوع الشوامت : ابي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولا يستطيع ان يتحرك او يهرب لما يشعر به من
 الخوف والبرد . (٧) فبهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر به صمغ الكعوب : استمرت قوائمه
 ثابتة في مكانه « لم يهرب » . الصمغ جمع اصمغ : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظام . بريئات
 من الحرّ : لا اعوجاج فيها .

وكان ضمران منه حيث يوزعه طعن المَعَارِك عند المَحْجَر، النَجْد (١).
 شكَّ الفريضة بالمدرى فانفذها شكَّ المبيطر اذ يشفي من العَضْد (٢).
 كأنه خارجاً من جنب صَنْجِحته سنود شرب نسوه عند مُفْتَاد (٣).
 فظلَّ يعجمُ اعلَى الرُّوق مُنْتَبِضاً.

في حالكَ اللون صدق غير ذي أود (٤).
 لما رأى واشقُ اقعاص صاحبه ، ولا سبيلَ الى عقل ولا قود (٥)،
 قالت له النفس: «إني لا ارى طمعاً . وإن مولاك لم يسلم ولم يصد» (٦).
 فتلك تبغني النعمان . إن له

فضلاً على الناس في الادنى وفي البُعد (٧).
 ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه ، ولا أحاشي (٨) من الاقوام من أحد،
 إلاَّ سليمان ، إذ قال الآله له قم في البرية فأحددها عن الفند (٩).

(١) ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . الحجر : المأزق ، المكان الضيق «في الحرب» .
 النجد : الشجاع ، وهي نعت للمعارك - حينها ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو
 منه ، اخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليعده عنه (٢) الفريضة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة .
 المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جانب فيخرج من الجانب الاخر . المبيطر :
 طبيب الدواب . العَضْد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفاذ ميسل من جانب الى جانب في صدر
 الدابة ثم بادخال مصران في ذلك المكان فيخرج من طرفيه صديد لمدة معينة (٣) الشرب : الذين
 يشربون الخمر معاً . مفتاد : مكان شي اللحم - يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم
 الكبيرة المشكوكه بسيف حديد (٤) يعجم : بعض . الرُّوق : القرن . منتبضاً : ملتوياً . حالك ،
 اسود . صدق : صلب . اود : اعوجاج - لعلها ، في حالك اللون صدقاً غير ذي اود ، ومعناها ،
 اسود لون الكلب من سيلان دمه ومع ذلك فقد ظل مجتهداً في عض قرن الثور ولم يتعب (٥) واشق :
 اسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول (٦) طمعاً : طمعاً
 بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك ٧ ، تلك ، اي الناقة التي لها هذه الصفات . الادنى
 والبعد : الاقربين والابعدين (٨) استثنى (٩) احدها : امنعها . الفند : الخطأ والخطل .

وخيَّسَ الجنَّ ، إني قد اذِنْتُ لهم
فَمَنْ أَطَاعَكَ فأنفَعَهُ بطاعته
ومَنْ عصاك فعاقبه معاقبة
الا لمثلِكَ ، او من انت سابقه

سبقَ الجواد إذا استولى على الامد (٣) .
اعطى لفارهة حاوٍ توابعها
الواهبُ المائةَ الابكارَ زينها
والساحباتِ ذبولَ الرِيطِ فنقها
والخيلَ تمزَعُ ، قُبَاً ، في أَعْتَتَهَا

كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد (٧) ،
والأدم قد خيَّست ، فتلاً مرافقها ،
واحكم كحكم فتاة الحي إذا نظرت
الى حمامٍ سراعٍ وارد الشمد (٩) .

(١) خيس : ذلل ، استخدم . الصفاح : الحجارة العريضة . العمد : الاعمدة . ٢) تقعد على
ضمد : تصبر على الضيم او الحقد . ٣) الامد : الغاية - الا لمن كان في درجتك من الفضل ، او ان
كنت اعلى منه بقليل . ٤) الفارهة : المطية الحسنة الكريمة او الفتية . حلو توابعها : كل ما يتبعها
جيد . فكد : كره ، وضعف . ٥) الابكار جمع : بكر « بفتح الباء » الجمل الصغير . وفي رواية
المعك : الغلاظ الشداد . السمدان نبت ذو شوك . توضح اسم مكان . البد : الكثة الكثيفة . ٦)
الساحبات ذبول الريط : الجوارى اللابسات الحرير . فنقها : طيب عيشها وجعلها منعمة . برد الهواجر :
البحر في وقت الظهر الى مكان بارد . كالفزلان بالجرد : يبدوون جميلات كالفزلان التي لا يستر
حسنها شيء . ٨) تمزع : تسرع . قبا جمع اقب : حصان ضامر البطن . في اعنتها :
يارساتها . الشؤبوب : الدفمة الشديدة من المطر . ٨) الادم جمع ادماء : النافعة البيضاء . فتلا مرافقها
قوامها بعيدة عن صدرها . مشدودة النخ : عليها سروج جديدة من صنع الحيرة . ٩) فتاة الحي : هي
زرقاء اليمامة وكانت حديدة البصر . التمد : الماء . احكم : كن حكيمًا .

يَحْنُهُ جَانِبًا نَيْقٍ ، وَتَتَّبِعُهُ . مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ (١) .
 قَالَتْ : « أَلَا لَيْتَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا فَحَسَّبُوهُ فَأَلْفَوْهُ (٣) كَمَا حَسَبَتْ :
 فَكَمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتَهَا .
 فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ ،
 وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمَسِّحُهَا
 مَا قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتَيْتُ بِهِ ،
 إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مَعَاقِبَةً
 هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ
 أَنْبُتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي .
 مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْاقْوَامُ كُلُّهُمْ
 لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
 تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَرُدْ .
 وَأَسْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ .
 وَمَا هَرِيقٌ عَلَى الْإِنْصَابِ مِنْ جَسَدِ (٤) ،
 رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسِّنْدِ (٥) .
 إِذَا فَلَا رَفَاتٍ سَوَاطِي إِلَى يَدَيَّ (٦) .
 قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْقَنْدِ (٧) .
 طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كَيْدِي (٨) .
 وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ (٩) .
 وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ ،
 وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفَدِ (١٠) .

(١) يحنه جانبا نيق : يحده جانبا جبلين مرتفعين . مثل الزجاجه : كناية عن العين الصحيحة الصافية . لم تكحل من الرمد : لم تصب بالرمد فتحاج الى الكحل . (٢) فقد : حسب « فقط » .
 ألفوه : وجدوه . (٣) اقسم بالذي مسحت كعبته «بيدي تبركا» اي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق . الجسد : الدم . (٤) المؤمن الذي امنها الا تصاد «اي الله» . العائذات : الحمام « اللاجئات . يمسحها : يلمسها . (٥) مما اتيت به : ما نقله الواشون اليك . فلا رفعت سوطي الي يدي : دعوة على يده بالشلل . (٦) الكذب . (٧) طارت نوافذه الخ : نفذت افواه القاسية في كيدي . (٨) اوعد : توعد ، تهدد . - ولا اطمئنان مع سماع صوت الاسد .
 (٩) لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا تجل خصمي مقتدرا لا طاقة لاحد به (لا تكن انت خصمي) .
 كفاء : مثل ، نظير . تأتفك : احاط بك . الاعداء : اعدائي . الرمد : المظاهرة ومساعدة بعضهم بعضا للوشاية بي عندك .

فما الفرات^١، وان جاشت غواربه
يَمْدُه كل وادٍ مُترَعٍ لِحِبِ
يَنَالُ من خوفه الملاحُ مُعتصماً
يوماً بأجود منه سيبَ نافلة .
هذا الثناء^٢، فان تسمع لقائله
ها ان ذي عذرة^٣ إلا تكن نفعت
ترمي أواذيه المبرين بالزبد^٤،
فيه حطام من الينبوت والخضد^٥،
بالخيزرانة بعد الاين والنجد^٦ .
ولا يحول عطاء اليوم دون غد^٧ .
فلم أعرض، أبيت اللعن، بالصفد^٨ .
فان صاحبها مُشارك النكد^٩ .

(١) جاشت : اضطربت . غواربه : اعالي الموج . الاواذي : الامواج . المبرين : الشطين .
(٢) يمدّه : يصب فيه . واد : « هنا » السيل الجاري في الوادي . خطام : قطع « جرفها السيل » .
الينبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والاغصان المتكسرة . (٣) الملاح : البحري . الخيزرانة :
حفة المركب . الاين : التعب . النجد : العرق المنصب من اجهاد الجسد ومن التعب . (٤) سيب نافلة :
المطاء الزائد ، وهو اذا اعطى اليوم لا يمنع عطاءه غداً . (٥) الصفد : العطاء . - يقول : انا انني
عليك ولا اطلب (الآن) على ذلك عطاء . (٦) العذرة : الاعتذار . - واذا لم ترض عني فني اظل
حنكك الميش .

٤ - زهير بن ابي سلمى

توفي نحو عام ١٤ ق هـ (٦٠٩ م)

البس بعجيب ان ينادي رجل بالسلم في زمن كان،
الناس يعتقدون فيه ان الحرب هي السبيل الوحيد
لاحقاق الحق ؟

١ - موجز ترجمته

يعرف زهير بن ابي سلمى بانه 'مزني' ، نسبة في الاغلب الى جدة له كان اسمها
مزينّة، ومرجع نسبه الى غطفان من عرب الشمال وكانوا من ساكني نجد. وغطفان
هو الجذم الذي ينتمي اليه بنو عبس وبنو ذبيان . وليس لنا من سبيل الى ان
نعرف عن الرجل في مطلع حياته اكثر من ذلك .

ولكننا اذا راجعنا شعره - ومعلقته خاصة - نعلم ان اسماء الاماكن التي
يذكرها معروفة في ارض غطفان في شمال الحجاز : فالمشلم تلة هناك او واد .
والدرّاج حرّة - ارض بركانية - في الاغلب في ذلك الجوار . واما الرقمتان
فواحتان على مقربة من يثرب . ومن هذا كاه نعلم ان زهيراً عاش في شمالي الحجاز
على اطراف نجد . ونلاحظ من المعلقة ايضاً انه كان لزهير زوج اسمها ليلى وكنيتها
« ام اوفى » ولدت له اولاداً عدة ، ماتوا كلهم صغاراً . ثم تزوج بعد ذلك امرأة
اخرى هي ام ولديه كعب و'جبير ، فقارت من ذلك ام اوفى وآذته فطلقها . فلما
انكشف عنه الغضب احب مراجعتها فأبّت فقال :

لقد باليت مظنّ أمّ اوفى ولكن أمّ اوفى لا تبالي .
وعُسر زهير حتى بلغ تسعين عاماً او تزيد .

٢ - حرب داحس والغبراء

اما اهم حادث اثر في نفس زهير ، ثم ترك آثاراً في ديوانه كاه فهو حرب داحس

والغبواء ، وهي مناوشات ملأت اربعين عاما (٥٤ - ١٤ قبل الهجرة اي من ٥٦٨ - ٦٠٨ للميلاد) ولكنها جعلت من زهير صاحب معلقة ومن هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم السلام وفي تاريخ الادب . اما سبب هذه الحرب فموجز فيما يلي :

كان داحس فرساً كريماً سريعاً ولكنه غير فارِه (لا يدل منظره على كرم اصله) فجرى ذكره ذات يوم في حلقة من القوم ، فاشاد به نفر وحقره آخرون وانتهى بهم الامر الا ان عقدوا رهاناً (لم يعلم به صاحب داحس) على الصورة الآتية :
 'ينزل قيس بن زهير العبسي داحساً والغبواء (فرسين له مذكراً ومؤنثاً)
 ويُجري رجل من غطفان فرسين ايضاً ، ويكون المدى مائة غلوة (٣٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠) ذراع ، والهدف ذات الاِصاد . اما الحكمُ فيجعلوه رجلاً من ثعلبة . وجعلوا علامة السبق ان يصل الجواد السابق الى بركة معينة ويكرع فيها .

وكن قوم من بني فزارة من (غطفان) عند ثنية بين المبتدأ والهدف . فلما بدا داحس - وكان السابق - عرفوه فامسكوه . ثم اتت الغبواء وراءه مصليّة (ثانية) فلم يعرفوها فيمسكوها . وظل الفزاريون ممسكين داحساً حتى مضت الخيل واستهلت من الثنية فاطلقوه فراح يركض ويتخطى الخيل واحداً واحداً الا الغبواء « وداحس والغبواء لرجل واحد » ، ولو طال المدى لسبقها ايضاً . ومع هذا كله فقد وصلت الغبواء سابقة وداحس مُصلياً او ثانياً . الا ان الفزاريين اعترضوهما مرة ثانية قبيل الهدف وردوهما عن البركة .

وطلب العبسيون « حزب داحس والغبواء » حقهم من الرهان وقدره عشرون من الابل فلم يعطهم الفزاريون شيئاً . ولم يستطيع العبسيون القتال ساعتئذ وليس معهم غير ابيات قليلة « اي لم يكن معهم من انصارهم الا عدد قليل) . غير ان الحرب نشبت فيما بعد بين فزارة وعبس ، ثم جرت اليها قبائل اخرى من غطفان . ولقد دامت العداوة والمناوشات بين القوم اربعين عاماً فيما يزعمون . ولكن يجب الا نعتقد ان القتال ظل ملتجماً اربعين سنة ، بل ان العداوة فقط دامت تلك السنين .

اما القتال فكان بين الفينة والفينة فقط . ولم يكن عدد القتلى عظيماً جداً كما نتخيل نتيجة لحرب تدوم هذا العدد الكثير من الاعوام .

٣ - الصلح سبب المعلقة

قيل ان الحارث بن عوف المري خطب بيهسة بنت اوس بن الحارث العبسي في حديث طويل جداً . وكان الحارث سيداً في قومه ، واوس بن الحارث معروفاً بالعزة . ولقد كان من امر بيهسة انها ابت ان يبني بها الحارث قبل ان يمشي بالصلح بين القوم . وهكذا مشى الحارث بالصلح وساعده في غايته رجل آخر من قبيلة بني مرة وهو هرم بن سنان . فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلها الا ما زاد ، فاحتمل هرم والحارث الديات الزائدة فكانت ثلاثة آلاف من الابل وقواها في ثلاثة اعوام . وهكذا وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها ، وعلا اسم هرم والحارث في تاريخ الحرب والسلم ، وعلا معها اسم زهير بن ابي سلمى .

٤ - زهير في رأي الرواة والنقاد

- أ - زهير احد الثلاثة « امرؤ القيس ، زهير ، النابغة » المقدمين على سائر الشعراء .
- ب - قال جرير : شاعر اهل الجاهلية زهير .
- ج - قال عمر بن الخطاب (رضه) : زهير شاعر الشعراء . . . كان لا يعاظم في الكلام « يداخل بعضه في بعض » ، وكان يتجنب وحشي الكلام ، ولم يمدح احداً الا بما فيه . . . ولا يقول الا ما يعرف .
- د - قال محمد بن سلام الجعفي : ان من قدم زهيراً احتج بان له كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سُخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح مع الاحتياط حتى لا يخرج بمعانيه الى الغلو ، كقوله :
لو كان يقع فوق الشمس من احد قوم باحسابهم او مجدهم قعدوا .
فتفطن الى قوله « لو » .
- وكان زهير اكثر الشعراء « الجاهليين » امثالا في شعره ، على ما ترى في ختام معلقته .

هـ - قال ابن الاعرابي : كان لزهير ما لم يكن لغيره : كان ابوه شاعراً ، وخاله « بشامة » شاعراً ، واختاه سلمى والحنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبجير شاعرين .

و - كان زهير من عبيد الشعراء لانه من الذين ينقحون ما ينظمون ولا يذهبون به مذهب المطبوعين الذين يرسلونه على السجية والقطرة .

هـ - ميزات زهير

اذا قبلنا احوال الرواة في زهير وجدناها تقرب من الحقيقة كثيراً . ولقد امتاز شعره بما يلي :

أ - فصاحة الالفاظ - كان زهير من ارغب الشعراء عن الكلمات الغريبة البعيدة عن المؤلف . فقد كان يتجنب حوشي الكلام او وحشي الكلام ، وكلاهما بمعنى . على ان الفاظه كانت جزلة ، نقصد بذلك انها تقع في مواقعها الصحيحة المخصوصة .

ب - سهولة التركيب - وكذلك كان زهير سهل التركيب « لا يعاقل في الكلام » لا يداخل بعضه في بعض عند التركيب ، فلا تبعد ابياته عن الفهم . على ان تراكيبه كانت بليغة تجري على اساليب العرب ، وكانت متينة لا ضعف في بنائها ولا غمز في صحتها ، فلقد كان ينقح ما ينظم . زعموا ان قصائده تسمى الحوليات ، يقصدون انه ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، وينقحها في اربعة اشهر ، ثم يعرضها على اصحابه في اربعة اشهر . ومع ان في هذه الرواية مبالغة لا يقبلها التحقيق في جميع قصائد زهير ولا في بعض قصائده ، فانها تدل بلا شك على شدة عنايته بتنقيح ما ينظم .

ج - بساطة الاسلوب - وسبيل زهير في ايراد افكاره وعرض آرائه بسيط للغاية ليس فيه تنميق ولا بعد متخيل - كما ترى عند امرىء القيس مثلاً - .

د - صدق القول - تظهر روعة شعر زهير في صدقه اذا نظم . ومع ان الصدق في التعبير عما يجول في النفس ميزة من ميزات الشعر الجاهلي عامة فانه ميزة من ميزات زهير خاصة ، تعلم ذلك من مدحه لهرم بن سنان والحارث بن عوف ،

فانه لم يزد في مدحهما على ذكر فضلها على وقف الحرب . وهذا ما حدا بالنقاد الى القول بانه لا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . ولذلك قال النقاد ان زهيراً اشعر الناس اذا رغب .

هـ - **النضج** - ومع ان زهيراً عمّر طويلاً ، فانه لم يترك ديواناً كبيراً . الا ان ما تركه من الشعر موسوم بالنضج وبالحكمة التي يخلقها التقدم في السن ، ولذلك قال النقاد انه اكثر الشعراء امثالا في شعره . فلا عجب اذن اذا رأينا زهيراً يقف في قومه واعظاً ونصيحاً يحضهم على السلم وينفرهم من الحرب .

فنونه واغراضه

ليس لزهير فنون مستقلة يعالجها في قصائد او مقطعات خاصة ، ولكن له اغراض يجمع عدداً منها في كل قصيدة . واغراضه هذه تدور على ما يلي :

أ - **المديح** - واكثر مديحه في هرم بن سنان بن ابي حارثة احد صاحبي الصلح في حرب داحس والغبراء . وكان يمدحه اعجاباً به وبشهامته في تحمل ديات القتلى (مع الحارث بن عوف) . وأعجب هرم بزهير فحلف الا يمدحه زهير الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً . فكان زهير اذا رأى هرم مآ في ملاء (جمع من الناس) قال : « عموا صباحاً غير هرم » ، وخيركم استثنيت ! » وكذلك كان زهير متصلاً بالهرم من قبل فقد مدح والد هرم ورثاه . وواجه المديح عند زهير القوة والشجاعة في الحرب ، ثم المجد والعز وكرم الاصل ، ثم الكرم وفعل الخير وحمل المغارم وتفريج الكربات ، ثم التقوى والخلق الجميل .

ب - **العتاب والوعيد والمجاء** - ولزهير عتاب قليل في امراته ام كعب مثلاً ، او في اقوام ظلموا غيرهم ، وقلماً كان يعاتب زهير احداً لامر شخصي . وكذلك لم يكن وعيده ولا هجاؤه شخصيين ولكن في سبيل القبيلة . وليس له في ذلك ميزة بارزة تميزه من غيره من الشعراء .

ج - **الوصف** - والوصف من اغراض زهير البارزة فهو يتم كثيراً بوصف

الاطلال ووصف الراحلة (الناقة) ، وهو يصف الصيد ، ويحسن وصف الحبل في الحرب ووصف الحرب عامة . وله وصف في الخمر .

د - النسيب والغزل - وهو يجري فيهما على سنة الجاهليين في مطالع القصائد او في ثناياها ، على انها عفيفان بخلاف ما عرفنا عند امرئ القيس وطرفة .

هـ - الادب والحكمة - اشتهر زهير بأنه يقول في الادب والحكمة على قلة ذلك في ديوانه حتى بالاضافة الى طرفة . ولكن النضج الذي وصل اليه زهير ممكنه من ان يبدي آراء له متزنة صائبة ، الا ان هذه الآراء مبنية على اختبار طويل وعبرة مستمدة مما كان يرى الشاعر حوله ، ولذلك كانت من باب النصيح والمواعظ وضرب الامثال .

هذه الحكم منشورة في قصائده . اما اكبر مجموع منها فموجود في ختام معلقته على اختلاف في عدد الابيات (حسب الروايات المختلفة) وعلى اختلاف في الترتيب ايضاً . وبينما كنت ترى ان حكم طرفة كانت حكماً شخصية ذات طابع خاص لانها تمثل آلامه في الحياة وتعبر عن رأيه هو فيها بصرف النظر عما يقبله المجتمع او لا يقبله ، كنت ترى حكم زهير عامة لا اثر للطابع الشخصي فيها (اللهم الا فضل التعبير عنها) ، وذلك لانها مستوحاة من الحياة الاجتماعية ومن اختبار البشر في حياتهم المتطاولة .

على ان حكم زهير كان آراء شيخ حكيم خبر الحياة وفرق بين مظاهرها وبين حقيقتها . انه لم ينخدع بالناس ولا بريائهم ، بل ادرك ان « السلطة » هي اساس النزاع بين البشر ، وان القوي مرهوب والضعيف مظلوم ابداً . ويعطف زهير على الحياة والموت فيبدي فيهما آراء تقرب من آراء طرفة في أن الموت يأتي على الجميع ولا يفرق بين احد . ولكن يبدو ان زهيراً كان يؤمن بشيء من الخلود - اذا صحت نسبة البيت الذي يذكر ذلك له . على ان زهيراً لا يزال يعتقد بان الذي يفعل الخير لا يندم ، الا اذا كان قد فعله مع غير اهله ، اي مع من لا يستحق .

معلقة زهير بن ابي سلمى

كان ورد بن حابس العبسي قد قتل هُرم بن ضمضم المري ، من بني ذبيان ؛ فقتل حشرت عبس وذبيان قبل الصلح « الذي ختمت به حرب داحس والغبراء » . فحلف الحصين بن ضمضم ، اخو هُرم هذا ، الا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس او رجلاً آخر من عبس ... ولم يُطلع على ذلك أحداً . ثم اتفق ان نزل رجل من بني عبس على الحصين بن ضمضم « ضيفاً » ، فقتله الحصين .

اراد بنو عبس ان يقتلوا الحارث بن عوف المري ، احد الرجلين اللذين احتملا جميع الديات في قتلى حرب داحس والغبراء . فلما علم الحارث بذلك ارسل مائة من الابل مع ابنه الى بني عبس وخيبرهم بين ان يأخذوا الابل دية قتيلهم وبين ان يقتلوا ابنه ... فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا ونتم الصلح » . فقال زهير معلقته بمدح الحارث بن عوف وهُرم بن سنان ويذكر صلح داحس والغبراء وامر الحصين ابن ضمضم .

تبلغ ابيات معلقة زهير حسب رواية ابي زيد القرشي في كتابه « جمهرة اشعار العرب » ٦٤ بيتاً مفصلة كما يلي :

١ - مقدمة المعلقة (١-١٦) يقف زهير على طلل امرأته ام أوفى في جوار يثرب بعد انقضاء عشرين سنة على انتقال ام أوفى عنه ، وقد أخذت الظباء وبقر الوحش تروح وتغدو عليه لطول ما هُجر . وليس من الغريب اذن ان نراه يقول « فلأياً عرفت الدار بعد توهم » . غير انه يستطيع - بعد انقضاء تلك السنين العشرين - ان يتبين حجارة المواقد ، والحاجز الذي كان يرد الماء عن الحيمة . ثم يقف زهير الآن ويتخيل سير الظعائن - التي غادرت المكان قبل عشرين عاماً - من فوق جُرحم ، وهو ماء لمزينة . ثم يصف الهودج ويصف المسير ، ويمزج ذلك بشيء من النسيب (١) .

(١) راجع ايضاً المعلقة كما وردت في شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة الامام ابي العباس احمد ابن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، « مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م » .

- أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً، لَمْ تَكَلِّمْ ،
 ديارٌ لها بالرقمتين ، كأنها
 بها العين والآرام يمشين خلفه ،
 وقفت بها من بعد عشرين حجةً
 أثافي سفعاً في معرّسٍ مرجل ،
 فلما عرفت الدار قلت لربّها :
 تبصر خليلي ، هل ترى من طعائن
 علون بانماط عتاقٍ وكِلَّة
 جعلن اللّتان عن يمين وجرّنه ،
 ظهرن من السّوبان ثم جزّعه
 ووركن في السّوبان يعلون متنه
- بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ (١) ؟
 مَرَا جِيعٍ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرٍ وَمُعْتَمِ (٢) ،
 وَاطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْمَ (٣) .
 فَلَأَيَّاءُ عَرَفَتْ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ (٤) :
 وَنَوَّيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَشَلِّمِ (٥) .
 « أَلَا أَنْعَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسِلِهِ » (٦)
 تَحْمَلُنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ (٧) .
 وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِمَةَ الدَّمِ (٨) .
 وَكَمْ بِالْقَنَّانِ مِنْ مُجِلٍّ وَحُرْمِ (٩) !
 عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٌ وَمُفَامٌ (١٠) .
 عَلَيْهِنَ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ (١١) .

(١) دمنة : آثار الدار ، طلل . تكلم : تتكلم . ٢) بالرقمتين : بين الرقمتين ، كأنها بقبا وشم على يدٍ تجعدت بالسنين « الوشم يكون ابيض على اليد البيضاء المساء منه على اليد المجمدة » . ٣) خلفه : فوجاً بعد فوج . اطلاء جمع طلي : ابن الظبية . مجثم : مكان الجنوم : قعود الحيوان . ٤) حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توم : ظن « ما عرفت مكان الدار بالنأ كيد » . ٥) الاثافي « جمع اثقية » : الحجارة التي توضع عليها القدر « حجارة الموقد » . سفعاً : سوداً . معرّس : مكان . مرجل : القدر العظيمة . نوّي : خندق يحفر حول الحيمة . تلم : تشقق . ٦) الربع : المكان الذي ينزل فيه البدو في ايام الربيع . ٧) طعائن جمع طعنة : المرأة المسافرة على الجمال . تحملن : اوتحن ، سافرن . ٨) علون : ارتفعن على « هودج » فيه انماط « ثياب » عتاق « جيدة ، ثينة » . الكلة : ستارة « ناموسية » . ورا د : وردية اللون . الحواشي : الاطراف . مشاكمة : مشابهة . ٩) القنان اسم جبل . جزنه : قطعنه « وفي جميع الروايات : جزنه - يعني سهله - ولكنه بعيد عن المقول » . المحل : الساكن دائماً . المحرم : الساكن مؤقتاً . وقبل المحل : الذي ليست له حرمة ، عدو . والمحرم الذي له حرمة ، صديق . ١٠) السوبان اسم وادٍ . جزعته : قطعنه . قيني قشيب ومفام : « رحل ، سرج : هودج » جديد واسع من صنع احد بني القين ، يعني جيد الصنع . ١١) ورك : مال . متنه : ظهره . دل : دلال ، غنج . الناعم المتنعّم : العائش في النعيم .

كأن فُتات العِهن في كل منزل تزلن به حب الفنا لم يُحطم (١) .
 بكرن بكوراً واستحزن بسُجرة فهن ووادي الرّس كاليد في الفم (٢) .
 فلما وردن الماء زرقاً جمّاه وضعن عصيّ الحاضر المتخيم (٣) .
 وفيهن مَلهى لِلطيف وَمَنْظَرُ أنيق لَمين الناظر المتوسّم (٤) .
 تذكري الاحلام ليلي، ومن تطف عليه خيالاتُ الأحبة يوم (٥) .

٢ مدح هرم والحارث « ١٧ - ٢٦ » . وهنا يقفز زهير الى مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان فيرينا اياهما يشفقان على ما اصاب القبيلة من جرّاء الحرب ويسعيان الى السلام بعد ان كادت قبيلتنا عبس وذبيان ان تتفانيا . ثم يبسط فلسفتها في استخدام الاقناع والمال في سبيل وقف الحرب :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم (٦) .
 فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال، بنوه، من قريش وجُرهم (٧) .
 يميناً : لننعم السّيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم (٨) .
 تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تقانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٩) .

(١) العهن : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب صغير احمر . يحطم : يكسر . يعني زين هؤلاء النسوة هودجن بصوف احمر ، فكن كلما تزلن في مكان بقي فيه شيء من آثار هذا الصوف .
 (٢) استحر : مشى في السجرة « آخر الليل » . كاليد في الفم : مستقيم السير لا يمكن ان يبل عن طريقه كما ان اليد لا تميل في طريقها الى الفم . (٣) جام : اطراف . الحاضرة : النازل في الحاضرة « المدينة » . (٤) أنيق : جميل . المتوسّم : المتطلع ، المتفرس . (٥) يحلم : يرى طيف حبيته في منامه . (٦) الساعيان : المصاحبان « الحارث بن عوف وهرم بن سنان » . تبزل : تشفق « يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، ابي عبس وذبيان » . (٧) البيت : الكعبة . (٨) السحيل ضد المبرم : الحبل المغتول جداً « يعني في الرخاء وفي الشدة » . (٩) تقانوا : افنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضاً « اما تحرج هذا المثل فله روايات مختلفة » .

وقد قلتما : « ان نذكر السِّلْمَ واسعاً
فاصبحتما منها على خير موطن
عظيمين في عليا معدَّ هديتما .
فاصبح يجري فيهم من تلادكم
تُعفى الكلوم بالمتين فاصبحت
ينجمها قوم لقوم غرامة
بمال ومعروف من الأمر نسلم ! »
بعيدتين فيها من عُشوق ومأثم ،
ومن يسَّيح كنزاً من المجد يعظم !
مغانم شتى من إفال مُزئم (١) .
ينجمها من ليس فيها مجرم (٢) .
ولم يهر يقوا بهنهم ملء محجم (٣) .

٣ - نصح المتقاتلين ووصف احوال الحرب « ٢٧-٣٨ » . ويتخلص زهير الى
نصيحة المتحاربين فيأمرهم بالاخلاص ونقض الصدور من الحقد والضغائن ، لان الله
يعلم كل شيء ، وان اخفيتموه .

ثم يمضي في وصف احوال الحرب وتنائجها حتي يصورها اقبح صورة واصدقها .

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة
فلا تكتمن الله ما في صدوركم
يؤخر فيوضع في كتاب قيد خـ
وما الحرب الا ما علمتم وذوقتم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وذبيان : هل أقسمتم كل مُقسم (٤)
ليخفى . ومهما يكتم الله يعلم :
ليوم الحساب ، او يُجَل فينتقم .
وما هو عنها بالحديث المرجم (٥) .
وتضر إذا ضرَّيتموها فتضرم (٦) .

(١) التلاد : الاموال الموروثة . الافال : اولاد الابل . مزئم ، جملت له علامة في اذنه دلالة
على اصله . (٢) تعفى : تمسح ، تمحي . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (اي بجائة جل لكل
قتيل) . بنجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب . (٣) .. ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم
« انا صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيه بالموسى » . (٤) الاحلاف : المتحالفون وهم هنا
بنو اسد وغطفان . (٥) المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن . (٦) تضرى : تهيج . ضرى النار :
اججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتمل بشدة .

- فتمررُكم عرك الرحا برفالها
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها
رعوا ما رعوا من ظمهم ثم اوردوا
فقتلوا منايا بينهم ثم أصدروا
الى كلاً مستوبل متوخم (٥).
- ٤ - غدره الحصين بن ضمضم « ٣٩ - ٤٧ » . هنا يعرض زهير لقضية الحصين بن ضمضم ، وهي ان ورد بن حابس العبسي كان قد قتل هرم بن ضمضم . فلما احتل الحارث بن عوف وهرم بن سنان دية القتلى في اثناء حرب داحس والغبراء ظن الجميع ان دية هرم بن ضمضم داخله في ذلك ، واعتبروا القضية كلها منتهية . الا ان الحصين بن ضمضم اخاهرم كان قد استتر وتواري كيلا يكون شهوده الصلح اعترافاً ضمنياً منه بالعفو عن دم اخيه . وفي ذات يوم لقي الحصين رجلاً عبسياً فقتله ثاراً لـ اخيه . فغضب بنو عبس وساروا يريدون قتل الحارث بن عوف وكادت الحرب تعود سيرتها الاولى . الا ان الحارث بن عوف تلافي المغبة بمئة جديدة من الابل غرمها من ماله ، حتى ساد السلام تماماً بين عبس وابناء عمهم بني ذبيان .
- لعمرى ، انعم الحى ، جر عليهم بما لا يؤايتهم حصين بن ضمضم (٦).
- (١) عرك : طحن . الرحي : حجر الطاحون . الثفال : جلد يوضع تحت الطاحون « اي كما ينزل الحب طحيناً على الثفال » . تلعج كشافاً : تحمل كل سنة (باستمرار) . تنتج فتنتم : تلد توائم (تأتي بمصائب كثيرة) . (٢) تنتج وانتج بالبناء المجهول : استولد « بالبناء المجهول » . اشام : غلمان شؤم . احمر عاد فتى من ثمود نحر فاقة النبي صالح بعد ان نهى النبي قومه عن اذيتها ، فعاقب الله بذلك ثمود كلها (٢٠) . تغل لكم دماً وقتلاً ومصائب اكثر مما تغل بلاد العراق الخصبه من الفلال والمال ، كانت الضرائب تجمع في العراق على كل نخلة مثلاً او على كل مساحة معينة من الارض ففيزاً (كيلاً معيناً) من الثمر ودرهماً نقداً . (٤) الظم : العطش (مدة ما بين الشربتين للابل ، يقصد الهدنة) . غمار : معارك . تفرى : تنفجر . (٥) كلاً : عشب . مستوبل : فيه وبال اي هلاك . متوخم : وخيم العاقية (بعد المعارك كان المتعاربون يتألمون من نتائج الحرب) .
- (٦) جر عليهم : جنى عليهم . يؤايتهم : يوافقهم ، يفيدهم .

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَةٍ
وقال: «سأقضي حاجتي ثم أتقي
فسد»، ولم يُفزعُ بيوتاً كثيرةً ،
لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مُقَدِّفِ
جريءٍ متى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم
ولا شاركت في الحرب في دمِ نوفلٍ
فكلًّا أراهم أصبحوا يعقلونهم
تساقُ إلى قومٍ اقومِ غرامةً

فلا هو أبداها ولم يتقدّم (١).
عدوي بألف من وراني ملجم (٢).
لدى حيث ألفت رَحْلَهَا مُقَشِّمِ: (٣)
له لبدٌ أظفاره لم تُقْلَمِ (٤)،
سريعاً، وإلا يُبَدِّ بالظلمِ يظلمِ (٥).
دم ابن نهيكٍ او قتيْلِ المُسْلَمِ (٦)،
ولا وهب منها ولا ابن المحزَمِ (٧).
علالة ألف بعد ألفٍ مُصَتِّمِ (٨):
صحيحات مال طالعاتٍ بمخرَمِ (٩)،

(١) الكشح: الجانب، الحاصرة - طوى كشحاً: كتم. مستكنة: ضغينة «مكتومة». ثم لم يتقدم الى حضور الاجتماع ليطلب دية اخيه او ليأخذها. (٢) ساقضي حاجتي: سأخذ بتأري. (٣) شد: هجم «وقتل العبسي»، وقال وطره. لم يفزع بيوتاً كثيرة: لم يشعر كثيرون بما صنع، لم يافت اليه الانظار. (٤) شاكي السلاح: مسلح تسليحاً تاماً. مقذف: يقذف به كثيراً الى المارك «ذو اختبار في الحرب». اللبدة: شعر ينبت حول رقبة الاسد. له لبد: لبسته تامة، كناية عن تمام بلوغه وقوته. اظفاره لم تقلم: لم تضعف قوته بعد، لا يزال قتيلاً. (٥) اذا اعتدى عليه احد رد اعتدائه وانتقم منه، واذا لم يبدأ بالاعتداء اعتدى هو عليه لعزة نفسه وقوته، وذلك كان من المثل العليا عند الجاهليين. - وفي هذين البيتين والتي تليهما وصف للحارث بن عوف وهرم بن سنان. (٦) ان رماح الحارث بن عوف وهرم بن سنان «الذين يدفعان ديات جميع القتلى من مالهما الخاص» لم تقتل ابن نهيك ولا الذي قتل في المكان المعروف باسم المثلج (٧) ورماحها لم تقتل نوفلاً ولا وهباً العبسي ولا ابن المحزم «بفتح الزاي المشددة او بكسرهما - ويروى المحزم بالخاء المعجمة والزاي معاً». (٨) ومع ذلك فقد دفعوا ديات جميع هؤلاء القتلى اقساطاً من ابل صحيحة الخلقة. يعقلونه: يدفعون ديته. علالة: شيئاً فشيئاً. ألف بعد ألف: في كل عام ألف جبل «لمدة ثلاث سنوات». مصتّم: تام الخلقة. (٩) النخرم: الطريق في الجبل. كان الحارث بن عوف وهرم بن سنان يرسلان اقساط الديات في كل عام مالا صحيحاً «ابلا صحيحة الاجسام» بلا تأخير، مع ان مستحقها كانوا يسكنون بعيداً عنهم (وراء جبال).

لِحَيِّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ ، إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بُمَغْظَمٍ (١) ،
 كِرَامٍ . فَلَاذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بُمَسْلَمٍ (٢) .
 ٥ - حكم زهير « ٤٨ - ٦٤ » . تختلف الحكم في آخر معلقة زهير في ترتيبها
 وعدد أبياتها بين رواية ورواية . ولكنها على كل حال تنكشف عن « أصابة رأي »
 اكتسبها الشاعر من السنين الطوال التي عاشها ، فهي وليدة الزمن ونتيجة التقدم
 في السن ، ثم هي ترد في آخر المعاقفة على غير نسق ولا نظام . غير أنك تُعْجَبُ ببعض هذه
 الأبيات إذا تأملت مفردة . ويجدر بنا أن نقول في هذا المقام أن هذه الحكم لا تحمل
 طابعاً شخصياً وإنما هي من حكم الشعوب ودروس الزمان . ويجوز أن يكون
 بعضها منحولاً :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعْشُ
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ ، مَنْ تُصِبُ
 وَاعْلَمْ مَا فِي الْيَوْمِ ، وَالْأَمْسَ قَبْلَهُ ،
 وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ
 وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
 ثَمَانِينَ حَوْلًا ، لَا أَبَا لَكَ ، يَسَامُ !
 ثَمَّةُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ ، يُعَمَّرُ فِيهِرَمٍ (٣) .
 وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ (٤) .
 يُضَرِّسُ بَأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَسْمٍ (٥) .
 عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْنَعُ عَنْهُ وَيُذَمُّ .
 يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشِّتْمَ يُشْتَمُ (٦) .

(١) حلال : كثير العدد ، يعصم الناس أمرهم : لهم جاء يحمون به الناس . طرقت : أتت فجأة .
 المَغْظَمُ : الخطب ، المصيبة - ترسل الغرامات إلى قوم حتى يسلموها إلى أصحابها - الظاهر أن هذا البيت
 والذي يليه من صفة الذين ترسل الغرامات إليهم الغرامات . ولكن الأصوب أن تكون من صفة الذين
 يدفعان الديات « الحارث وهرم » وصفة قومه (٢) كرام : عظماء متزهون ، لا يصل إليهم أحد ،
 لا ذو الضغن يدرك تبله عليهم : إذا اعتدوا على أحد لم يستطع أن يدرك ثأره منهم . ولا الجارم
 الجاني عليهم بمسلم : إذا جنى أحد جناية ثم استجار بهم حموه ودافعوا عنه ولم يسلموه لغرمائه .
 (٣) رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء « الضعيفة البصر » . فمن
 اتفق له حادث موت مات صغيراً أو شاباً ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم . (٤) عم : أعمى .
 (٥) يصانع : يداري . بضرس : يمزق . يوطأ بمس : يداس بأرجل الأبل .
 (٦) - من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفوراً « كريماً مصوناً » . يتقي : يتجنب .

يومن لا يذذ عن حوضه بسلاحه
يومن هاب اسباب المنايا ينلته
يومن يغص اطراف الزجاج فانه
يومن يوف لا يذمة، ومن يهد قلبه
يومن يغترب بحسب عدواً صديقه .
ومها تكن عند امرىء من خليقة،
ومن يجعل المعروف في غير أهله
وكأن ترى من صامت لك معجب،
السان الفتى نصف، ونصف فؤاده؛
وهكذا يبدو لنا زهير في معلقته خاصة رجلاً انسانياً جريئاً يحرص على ارواح
قومه وآمالهم، مستعداً لان يتناسى شخصيته اذا استطاع ان يضعها في سبيل رفع
مثل اعلى امام الامم والاقوام . وهو لا يحرص على خير الافراد فقط بل يفضل
خير القبيلة على ذلك بل هو اوسع في نظره الى البشر، يحب ان يشمل بخيره القبائل اجمع .
ولا شك في ان شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان قد ساعدته على ان يقف
هذا الموقف . ويكفيه فخراً انه كان يجاهر بميله الى السلام وباعتقاده انه السبيل
الصحيحة الى الحق في زمن كان كل فرد آخر يوقن ان الحرب وحدها هي التي ترُدُّ
الحق الى نصابه .

(٦) - من لم يدافع عن حوض الماء « آتاية عن المال والعرض ، لان الماء اثن شيء في الصحراء
بالسلاح ، يهدم حوضه « لكثرة من ينجي اليه للاستقاء منه » . ومن لا يمتد على الناس « يجاربهم » يعتقد
الناس عليه . (٢) ومن حاول ان يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة الى الموت « كالخرب والسفر
والمرض » تناله تلك الحوادث او غيرها ولو صعد الى السماء . (٣) الزج : حديدية في كعب الرمح يشير
بها الرجل اذا كان مسالماً . العوالي : الرماح . لهنم : سنان الرمح ، أي الحديدية التي في اعلى الرمح
ويشير بها الرجل اذا كان ينوي القتال - من لا يقبل السلم اذا عرض عليه يضطر الى خوض الحرب .
(٤) اوفى : وفى بالعهد . البر : التقوى وطاعة الاقربين . يتجمجم : يتردد . (٥) خالها : ظنها . (٦) ربما
طهرت رجلاً صامتاً فاعجبك ، فلذا تكلم زاد مقامه في عينك او نقصت قيمته عندك .

٥ - عنترة بن عمرو بن شداد

توفي نحو عام ٨ قبل الهجرة - ٦١٤ م

قومه واسمته

عنترة عربي من جهة الاب ، فهو من بني عابس ، ابناء عم بني ذبيان وخصومهم . اما امه فجارية حبشية في الاغلب اسمها زبيبة ، فهو من اجل ذلك هجين (مختلط النسب) اسود ، ولذلك لم يلحقه ابوه بنسبه ، فظل عبداً على عادة العرب في ابناءهم من اولاد الاماء .

ونشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الابل محتقراً في عين والده واعمامه وعين اخوته الذين ليسوا من امه ، ولكنه نشأ شديداً بطاشاً ، شجاعاً ، كريم النفس ، كثير الوفاء . وكان في صغره قد عرف « عبلة » ابنة عمه مالك ، فاحبها حباً جماً وطمع بان يبني بها يوماً ما . ولكن عمه مالكا كان كثير التعنت فلم يرض ان يزوج ابنته بعبد اسود .

الا ان آله ادر كوا بأسه وشجاعته فأحبوا ان يستغلوها في حرب اعدائهم وخصومهم فكانوا يحرّضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك ان يزوجه بعبلة . فاذا انجلت المعركة وادرك العبسيون ثأرهم او نالوا مآربهم حرّموا عنترة من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه بزواج عبلة .

واخيراً اغار حي من العرب على بني عابس غارة حملوا فيها كل شيء ، وسبّوا عبلة ايضاً . فلما جاءه ابوه يستثيره لخوض الحرب ، أبى وقال له : « العبد لا يحسن الكر ، بل يحسن الحلاب والصّر (١) » . فقال له ابوه : « كر يا عنترة وانت حر » . فحق عنترة بالمغيّرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان أباه استلحقه بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكن عمه مالكا لم يرض ان يزوجه عبلة .

وعُمرَ عنترة طويلاً ، وكانت له ايام مشهورات في حرب داحس والغبراء .
(١) الكر : الهجوم على الاعداء . الحلاب : حاب النياق . الصّر : ربط ضرع الناقة حتى لا يرضعها الفصيل « ولدها » .

وحارب ايضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البعثة ، ٦١٠ م) . فلما وصل خبر تلك المعركة الى الرسول قال : « هذا اول يوم اخذت فيه العرب من العجم بحق ! » وبعد بضع سنوات خاض العباسيون معركة مع بني طي ، فيما يقال ، سقط فيها غنوة قتيلاً عام ٨ ق . هـ (٦١٤ م) . ولعله مات عزباً ، اذ هو بلا شك لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره ، كما يظهر من شعره هو .

عناصر شخصيته :

لا نستطيع اليوم ان نميز بين العناصر الحقيقية في شخصية غنوة التاريخية وبين العناصر التي أضافتها الخرافة الى حياة هذا البطل الشاعر . ولكن بما لا ريب فيه ان غنوة كان بطلاً شجاعاً قوي الجسم ثبت الجنان . وكان فوق ذلك كريم النفس عفيفاً عن النساء ، عفيفاً عن مكاسب الدنيا المادية حتى عن غنائم الحرب التي كانت هو يهبها لبني عباس بسيفه . وكان كريماً بما ملكت يده ، يقري الضيف ويسقي الخمر . وكان ذا نجدة ينصر المظلوم والمستنجد به ، الا انه كان في كل ذلك يأبى ان يظلمه احد ، وكل ذلك ظاهر في معلقته . وله في غير معلقته الشواهد المشهورة منها :

* ولقد آييت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـل .
* وأغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها .
اني امرؤ سمح الخليفة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هـواها .
* ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الارض عن جو السماء .
ويجدربنا الا نهمل تحليلاً نفسياً لعنترة ذكره غنوة عن نفسه ، وقد تعجب بعضهم من شجاعته ، فقال : « كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزماء واحجم اذا رأيت الاحجام حزماء ، ولا ادخل موضعاً الا اري لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه بالضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه (على الشجاع) فاقتله . »

خصائصه وفنونه :

غنوة شاعر مقل اذا اعتبرنا الشعر الثابت له ، ولعل الناس لم ينحكوا شاعر من

الشعر ما نخلوا عنثرة ، اعجاباً بفروسيته ، وإشفاقاً عليه في حبه لعبلة وما لقي فيه من العذاب . وشعر عنثرة اسهل من شعر طرفه وامرئ القيس والنابعة ، حتى ان في بعضه ركافة كقوله :

سكتُ فغرتُ اعدائي السكوتُ وظنوني لأهلي قد نسيتُ
وكيف أنام عن سادات قوم انا في فضل نعمتهم ربيتُ
وان دارت بهم خيل الاعادي ونادوني أجبت متى دُعيتُ
على ان فيه رقة وسلاسة لاتجدها أحياناً في سائر الشعر الجاهلي وخصوصاً في المعلقة ، تأمل قوله فيها يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتُك والرماح نواهلُ مني ، وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم .

طرق عنثرة فنين من فنون الشعر : الغزل والحماسة . اما سائر الاغراض التي وردت في قصائده كالغفر والوصف وما الى ذلك فهي اما منطوية في باب الغزل والنسيب عنده او لاحقة بباب الحماسة .

١ - الغزل

غزل عنثرة عفيف ، حلو في بعض الاحيان ، خشن في بعضها . وعنثرة لا يجيد تحديث المحبوبة كامرؤ القيس مثلاً ، او كعمر ابن ابي ربيعة ، لانه يحاول ان يجتذبها بذكر وقائعه امامها وبتخويفها من عاقبة ضربه وطعنه على ما في المعلقة ، او كقوله في مكان آخر :

يا عبل كم من غمرة باشرتُها بالنفس ما كادت ، لعمرك ، تنجلي -
فارب ابلج مثل بعلك يادن ضخم على ظهر الجواد مهيل (١) -

(١) ضخم الوجه ، مورم الوجه .

غادرته متعفراً أوصاله . والقوم بين مجرّح ومجدل (١) .

هذا من الناحية الادبية، اما من الناحية النفسية فيبدو ان المرأة عادة تُعجّب بالرجل القوي . ولقد عرف عنترة ذلك بسليقته ، ولكن ذكر اعماله والاكتثار من الكلام عن البطش والدماء كان منفراً ، وكان بلا ريب من خصائص البداوة بخلاف حديث امرئ القيس لعنيزة فانه كان من احاديث الحضارة .

والغزل الخالص في شعر عنترة نادر ، تجد منه ابياتاً في المعلقة (دار لآنسة .. اذ تستبيك ... وكأنا نظرت بعيني ... الخ) او في قصيدته المعروفة بالعقيقية :

رفعوا القباب على وجوه أشرفت فيها فغيّبت السهى في الفرقد (٢) .

واستوكفوا ماء العيون بأعين مكحولة بالسحر لا بالاثمد (٣) .

يطلعن بين سواف ومعاطف وقلائد من لؤلؤ وزبرجد .
واما النسب فكثير يدور كله حول التشوق الى عبلة والى ثمنى العيش معها وحول تذكيرها العهود وعتابها .

٢ - الحماسة

اشتهر عنترة بالحماسة (وصف المعارك ووصف اعماله فيها) خاصة . ومرجع اوصافه في ذلك امران : اولهما وصف حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً او فلاناً . وثانيها وصف هجومه في قومه بني عبس على الاعداء . وتجد على هذين كليهما نماذج في المعلقة . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميع ابواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش ، ولا شك في ان الرواة اضافوا الى عنترة اقوالاً كثيرة . واشهر اقوال عنترة وادلها على «العقلية العنترية» قوله :

أقمنا بالذوايل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا (٤) .

حصاني كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا .

(١) مقتول وملقى ارضا . (٢) السهى : نجم صغير قليل الضوء (لبعده هنا) . الفرقد : نجم مضى . يهتدى به - يقصد : جميع الوجوه كانت جبيلة ، ولكن جمال عبلة كسف جمال اللواتي معها . (٣) جعلن الرجال يكون من اثر عيونهن المكحولة بالسحر لا بالكحل . (٤) الذوايل : الرماح . المتاع : العروض التي تقع عليها التجارة .

وسيفي كان في الهيجا طبيباً
 انا العبد الذي خُبرت عنه
 ملأت الارض خوفاً من حُسامي
 إذا الابطال فرّت خوف بأسي
 * لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب
 يداوي رأس من يشكو الصداعا .
 وقد عاينتني فدع السماء .
 وخصمي لم يجد فيها اتساعا .
 ترى الاقطار باعاً او ذراعاً ،
 يوم النزال إذا ما فاتني النسب .

ولا يغفل عنثرة في اثناء حماسه عن ان يحاول محو آثار رقه وسواد لونه
 بالافتخار باعماله واخلاقه وبنسبه من جهة ابيه الى بني عبس :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله
 حتى أثال به كريم المأكَل .
 إني امرؤ من خير عبسٍ منصّباً
 شطري ، وأحمي سائري بالْمَنْصُلِ (١) .
 وإذا الكتيبة احجمت وتلاحظت (٢) ألفت خيراً من مُعمٍ مُخَوَل .
 وإذا حملت على الكريهة لم أقل
 بعد الكريهة ليتني لم أفعل .
 ومن افتخارة بقومه ونفسه واخلاقه وفي الدفاع عن لونه قصيدته التي يتوعد بها
 النعمان . وفي هذه القصيدة ايضاً شيء من الحكم ، على سهولة في التركيب
 وجمال في التصوير :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرُتبُ
 ولا ينال العلى من طبعه الغضب .
 لله درُّ بني عبسٍ لقد ولدوا
 من الاكارم ما قد تنسل العرب (٢) .
 قد كنت فيما مضى أدرعى جماهمُ
 واليوم أحمي حماهم كلما نُكبوا .

(١) المنصل : السيف . (٢) لحظ بعد افرادها بعضاً ، خوفاً من الهجوم .
 (٢) ولدوني كريماً شجاعاً « مع ان امي جارية سوداء » كاحسن ما يلد العرب مع صفاء انسابهم .

لَنْ يَعْيبُوا سِوَادِي فَهُوَ لِي نَسَبٌ
 إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ ، يَا نَعْمَانُ ، أَنَّ يَدِي
 إِنْ أَلْفَاعِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسَهَا
 وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أَكْفَكُفَهَا
 إِذَا التَّقِيْتُ الْإِعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ
 لِي النُّفُوسُ ، وَلِلطَّيْرِ اللَّحُومُ ، وَلِلوَحْ
 يَوْمَ النِّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ (١) .
 قَصِيرَةٌ عَنْهُ فَلَا يَأْمُ تَنْقَلَبُ .
 عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا الْعَطَبُ .
 وَالطَّعْنُ مِثْلَ شِرَارِ النَّارِ يَلْتَهَبُ .
 تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَغْرُورَ يُنْتَهَبُ :
 شِ الْعِظَامُ ، وَلِلْخِيَالَةِ السَّلْبُ .

ملاحم عنقرة

قصائد عنقرة في الحماسة ملاحم قصار لا تباه من اتصال الابيات وتوالي الحوادث
 دروعة القصة ومتانة التركيب ما وصلت اليه معلقة عمرو بن كلثوم او معلقة الحارث
 ابن حازة ، ولكنها لا تقل عن تينك المعلقين حماسة واتقاد عاطفة ، فمن ذلك قوله :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانُ (٢)
 إِنْ مَا نَادَى الْمُنَادِي
 وَحَسَامِي مَعَ قَنَاثِي (٤)
 إِنْني أَطْعَنُ خَصْمِي
 إِنْني لَيْثٌ عَبُوسٌ
 خُلِقَ الرَّمْحُ لِكُفِّي
 غَيْرٌ بِمَجْهُولِ الْمَكَانِ .
 فِي دُجَى النَّعْ (٣) يَرَانِي .
 لِعَمَالِي شَاهِدَانِ .
 وَهُوَ يَقْظَانُ الْجَنَانِ .
 لَيْسَ لِي فِي الْخَلْقِ ثَانِ .
 وَالْحُسَامُ الْهِنْدَوَانِي .

(١) إذا فاتني النسب العربي الخالص . (٣) العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة واحدة . والمكان
 الذي يُقاتل فيه للمرة الاولى يكون المخاربون فيه قليلي الاختبار ، ومع ذلك فعنقرة معروف بمقدرته
 حتى في المعارك التي يخوضها للمرة الاولى . (٤) النع : غبار الحرب . دجى النع : إذا كثف
 الغبار صار اسود « دلالة على شدة المعركة . (٥) رعي .

- | | |
|--------------------|-------------------------|
| فاذا ما الارض صارت | وردةً مثلَ الدهان (١) . |
| ورأيتَ الدم يجري | لونه أحمرُ قان (٢) . |
| فاسقياني واسمعاني | نغمة كي تطرباني . |
| أطربُ الاصوات عندي | رنّةُ السيف اليماني . |
| وصليلُ الرمح جهرًا | في الوغى يوم الطعان . |

قصة عنزة

سيرة عنزة العبسي او قصة عنزة قديمة الرواية تتناول حياة عنزة من مولده الى وفاته . وهي تقوم على عنصرين اساسيين : حب عنزة لعبلة ، وحروب عنزة في سبيل رضى مالك والد عبلة أملا بان يسمح مالك بزواج عنزة من عبلة . ولد عنزة عبداً ورعى الغنم مع ابنة عمه عبلة فاحبها ونظم فيها الشعر . وهكذا يكون قد حال بين عنزة وعبلة حائلان : كان عنزة عبداً والعرب لم تكن تزوج بناتها الحرائر للعبيد . ثم ان عنزة قد شرب بعبلة ، وكان العرب لا يزوجون الرجل بامرأة قد شرب بها .

وقصة عنزة طويلة فيها ترديد كثير : معارك متشابهة الحوادث متباينة في التعبير عنها . وفي قصة عنزة مغامرات تخرج عن طوق البشر كما يُنتظر في امثال هذه القصص : عنزة يحمل رحماً طوله سبعون ذراعاً او يهجم على جيش فيهزمه او يضع يديه في فم الاسد ويشقه .

ولا ريب في ان شخصية عنزة في القصة غير شخصية عنزة في شعره الثابت . فالقصة تجمع حوادث لا تنطبق على التاريخ . ومن ابرز الفروق ان عنزة يتزوج عبلة في القصة ، بينما هو يبقى عزباً في شعره وتتزوج عبلة رجلاً آخر .

(١) صارت وردة : صارت حمراء اللون . الدهان : الجلد الاحمر . « صارت الارض كلها كأنها غطيت بجلد احمر » (٢٠) فناً : اشتدت حرته . قاله : شديد الحرارة .

فقصة عنثرة اذن ملحمة من الملاحم القديمة يمتزج فيها التاريخ بالخرافة وتتحد فيها الحقائق بالخيال وتكثر فيها افعال البطولة ومظاهر الشهامة ومواقف الحب، ثم يبرز فيها عنصر المباغطة، اذ بينا يكون بنو عبس في اشد المعارك هولاً والعدو محيطة بهم وهم على شفا الهلاك تبدو على الافق البعيد بقعة سوداء تعظم شيئاً فشيئاً حتى تنكشف عن جيش جرار يقوده عنثرة لانقاذ قومه بني عبس .

اما القصة فليست وحدة تأليفية . ان فكرتها قديمة جداً ولكنها تعرضت لزيادات كثيرة في اثناء الاعصر المتعاقبة ، ولا ريب في انها قد نمت في بغداد وفي مصر ، والعنصر المصري فيها ابرز .

نموذج من قصة عنثرة

عَنْثَرَةُ وَالْأَسَدُ

قال الراوي : وفي يوم من الايام توغل عنتر في البر بالجمال ، والغنم (١) ، وقصدها الروائي والاكم (٢) الى ان حمت عليه الشمس وبعد عن حي عبس . فقصد شجرة من الاشجار يستظل بها من حر النهار . وسرحت الاغنام ترعى ، في ذلك المرعى . واذا هو باسد كبير من بطن الوادي ظهر يمشي ويتبختر ، أفتس المنخر ، يطير من عينيه الشرر ، يقلب الوادي اذا همر (٣) . بانساب أحد من النوائب ، ومخالب امر من المصائب . شذوق شذقم (٤) عبوس ادغم (٥) . تسمع الرعد اذا همهم ودمدم (٦) ، ويلمع البرق من عينيه اذا اظلم الليل واعتم ، شديد المراس ، عريض الكتف كبير الراس .

فلما ظهر من بطن الوادي وشتت الحيل رائحته فرّت من هيبتة . وكذلك النوق والجمال ، شردت في اليمين والشمال . فلما نظر عنتر ، الى ذلك الامر المنكر

(١) نلاحظ ان الجمل طويلة والفصل بينها قليل . (٢) الاكمة : التلة . (٣) ضرب الارض برجله . (٤) الشذوق ، كذا في الاصل ، والمراد : الكبير الغم . الشذقم : الشدق الواسع الشدين . (٥) الادغم : الاسود المنخر ، والذي اذا تكلم ظهر كلامه كأنه خارج من انفه . (٦) همهم : تكلم بصوت خافت . دمدم : تكلم بصوت مرتفع وهو غضبان .

نزل الى الوادي حتى يبصر (١) والسيف في يده مُشَهَّر (٢) . واذا هو بالاسد راى باسط يديه ، وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبه ، والشرر يطير من عينيه . فعندئذ زعق عليه عنتر زعقة دوت بها الجبال ، وقال : مرحباً بك يا ابا الاشبال ، يا كلب الفلا ، يا نحس وحوش البيدا ، فلقد ابديت بأسك وصولتك ، واقتحرت بهمتك وهممتك . ولا شك في انك ملك السباع ، وسلطانهم المطاع ، ولكن عد بالحيلة والاذلال ، فما انا كمن لاقيه من الرجال . انا مهلك الابطال ، وميتم الاطفال . فانا لا ارضى ان اقتلك بسنان ولا بوحسام (٣) ، ولا بد ان أسقيك كأس الحمام . ثم انه ألقى السيف من يده وحمل على السبع وهو يُنشد :

يا أيها السبعُ الهجومُ على الردى ها قد بقيتُ معقراً منهوباً (٤) .
أتريدُ أموالي تكونُ مُباحةً ؟ ها قد تركتُك بالدا مخضوباً !
شردتُ أغنامي ، ولم تكُ عالماً أني هزبرٌ لا أزال مهوباً (٥) .
هذي فعالي فيك يا كلب الفلا هلاً شهدتُ مواقعاً وحروباً ؟
لو كنت تعلم ان هذا تلتقي منى وتصبحُ للحمام شروباً (٦) .
لم تأتِ نحوي تبتغي صيداً فقد وافاك حنقك عاجلاً مصوباً .
ثم هجم على الاسد ، ووقع عليه كوقوع البرد ، ونفخ عليه مثل الثعبان الاسود . ووثب عليه حتى ساواه في وثبته ، وصرخ عليه صرخة اعظم من صرخته ، وقبض عليه بكفيه ، واتكأ عليه فشق حنكيه الى حد كتفيه ، وصاح صيحة ازعج بها الوادي وجانيه ، وصبر على الاسد حتى قضى عليه !

(١) بصر مضارعها يبصر بضم الصاد وفتحها . (٢) مشهر بفتح الهاء فقط او بتشديدها مع الفتح : رفع السيف على الاعداء . (٣) السنان : النصل في اعلى الرمح . الحمام : السيف القاطع . (٤) معفر : ملوث بالتراب . (٥) الهزبر : الاسد . مهوب ومهيب وهيوب : الذي يخافه الناس . (٦) الحمام شروب : تشرب الحمام « الموت » ، تموت .

معلقة عنتره

نظم عنتره معلقته في اثناء حرب داحس والغبراء بعد ان قتل ضمضاً المري ،
ولكن قبل ان يقتل ورد بن حابس هرم بن ضمض على ما علمنا في الكلام على
معلقة زهير . وبما ان زهيراً يذكر مقتل هرم بن ضمض فمعلقة زهير متأخرة عن
معلقة عنتره ، ولكن زهيراً نفسه توفي قبل عنتره .

وفي معلقة عنتره بيت يدل على بدء نفور العرب من العجم . يقول عنتره عن ناقته :

شربت بماء الدحر ضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم .

ولكنه لا يذكر معركة ذي قار فيها . من اجل ذلك كله نستطيع ان نقول ان
عنتره نظم معلقته قبل ان ينتهي القرن السادس للميلاد او بعده بقليل (٥٩٥-٦٠٥ م) .

اما الرواية التي تزعم ان المعلقة هي اول شيء قاله عنتره من الشعر فلا يمكن
ان ننق بها ، ذلك لان لعنتره شعراً يجب ان يكون قد قاله في شبابه يتعلق بحبه
لعبله وبطولته في الحروب . فاذا قبلنا انه لم يقل شعراً قبل ٥٩٥ م ، وجب ان
ننكر كل شعر لعنتره سوى المعلقة .

ويقول عنتره معلقته ليعتاب عبله ويفتخر امامها بشجاعته وكرمه ، وليعاتب
اباه وعمه اللذين ضنا عليه بعبلة زوجاً له ، قال :

هل غادر الشعراء من متردّم ؟ ام هل عرفت الدار بعد توهم (١) ؟

يا دار عبلة بالجواء تكلمي . وعمي صباحاً دار عبلة ، واسلمي .

(١) متردّم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة - . يقولون قصد عنتره ان الاقدمين
اتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله . - وعندي ان متردّم « بكسر الدال » . انتهى - والمعنى :
هل ترك الشعراء طائلاً لم يقفوا بعد عليه ، والدليل على ذلك قوله : ام هل عرفت الدار بعد توهم ، فهو
لم يعرف طائلاً عبلة بالتاكيد بل توهمه توهماً . واما قوله فيما بعد : ما راعني .. الخ فايست اكثر من
ذكرى قديمة خطرت للشاعر .

فوقفت فيها ناقتي ، وكأنها
وتجل عبلةً بالجواء . واهلنا
حييت من طلل تقادم عهده
حلت بارض الزاثرين ، فأصبحت
علقتها عرساً ، واقتل قومها
ولقد نزلت ، فلا تظني ذيره ،
كيف المزار وقد تربع أهلها
ان كنت أزمعت الفراق فانما
ما راعني إلا حمولة أهلها
فيها اثنتان واربعون حلوبة
اذ تستبيك بذى غروب واضح
وكانما نظرت بعيني شادن

فدن ، لأقضي حاجة المتلوم (١) .
بالحزن فالصمان فالمتلوم .
أقوى وأقفر بعدام الهيثم (٢) .
عسر أعلی طلابك ، ابنة مخرم (٣) .
زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم (٤) .
مني بمنزلة المحب المكرم
بعنيزتين ، واهلنا بالغيلم (٥) .
زمت ركابكم بليل مظلم (٦) .
وسط الديار تسفح الجحيم (٧) .
سوداً كخافية الغراب الاسحم (٨) .
عذب مقبله لذيد المطعم (٩) .
رشاً من الغزلان ليس بتوأم (١٠)

(١) فدن : القصر . المتلوم : الذي يمكث في المكان قليلا . - ربطت ناقتي هنالك لأمر احب
ان اقضيه . (٢) اقوى واقفر : خلا من السكان . ام الهيثم : عبلة « ؟ » . (٣) الزاثر : الذي يزأر
وهو هنا الاسد او العدو « حلت بارض الاعداء » . ابنة مخرم . قالوا ينادي فتاة هي ابنة رجل
اسمه مخرمة . - وعندي ان المخرم الطريق في الجبل ، وابنة مخرم ، اي تسكن ارض يقضي الوصول
اليها قطع طرق في الجبال ، وفي ذلك صعوبة كبيرة . (٤) في تفسير هذا البيت اقوال ، لعل اصوبها ،
يقولون انني احببت عبلة انفاقاً ، فحبها من اجل ذلك ليس قويا ولهذا انا اقتل اهلها وقومها . وليس
ذلك صواباً . (٥) تربع : نزل في الربيع - والمقصود ان سكاننا بعيد من سكانهم . (٦) ازمع :
قصده . زمت ركابكم : اسرجتم جمالكم وحملت عليها متاعكم . بليل مظلم : سراً . (٧) الحمولة : الجمال .
الجحيم : ثر اسود - ما عرفت الا واهلها يستعدون الرحيل . (٨) الحلوبة : الناقة التي تمطي حلياً .
الخافية : الريشة الصغيرة في باطن جناح الطير . الاسحم : الشديد السواد . (٩) استبي وسسا : اسر
بجمله . ذو غروب : ذو خطوط في الاسنان « الفم » . واضح : ابيض . (١٠) الشادن والرشا : الصغير
من الغزلان . ليس بتوأم : ليس له مثيل (في جماله) .

- وكانَ فارةَ تاجرٍ بقسيمة
او روضةً أنفأ تَضَمَّنَ نبتَها
جادت عايمها كلَّ بَكْرٍ حرة
سَحًا وتَسكابًا ، فكل عشيَّة
وخلال الذُّباب بها فليس بيارح
هَزَجًا يَحْكُ ذِراعَه بذِراعِه
تُسي وتُصبح فوق ظَهر حَشِيَّةٍ ،
وحشيتي سرج على عَبلِ الشَّوى
هل تُبَلِّغني دارَها شَذَنِيَّةٌ ،
خَطَّارَةٌ غِيبُ السُّرى زِيافةٌ ،
- سَبَقَتْ عوارِضُها اليك من الفم (١) .
غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ ليس بِمَعْلَم (٢) .
فتر كن كلَّ قَرارةٍ كالِدِرْهم (٣) .
يَجري عَلَيْها الماءُ لم يَتَصَرَّم (٤) .
غَرِدًا كَفعلِ الشَّاربِ المَتَرَّم (٥) .
قَذَحَ المَكِبَّ على الزِنادِ الا جَدم (٦) .
وأبيتُ فوق سَراةِ ادهم مُلَجَم (٧) .
نَهَدِ مَراكِلَه نَبيلِ المَحْزَم (٨) .
لُعِنْتُ بِمَحْرومِ الشَّرابِ مُصْرَم (٩) ؟
تَطِسُ الا كام بذاتِ خُفٍّ مَيْثَم (١٠) .

(١) فارة المسك : وعاءه . القسيمة : المكان الذي تفتح فيه اوعية المسك . العوارض : صفحات العنق . - تشم الرائحة الطيبة من فمها « اي رائحتها الطبيعية » قبل ان تشم الرائحة التي تضعها في عنقها « تنطبلب بها » . (٢) الانف : التي لم يرعها احد بعد . الدمن : البقاء . ليس بمعلم : ليس بمكان معروف « يذهب اليها الناس دائما » . (٣) البكر : السحابة في اول الربيع . حرة : الخالصة للبياض . - تجمع الماء في قرارات الارض فاصح يرى « عن بعد » كأنه الدراهم . (٤) السح والتسكاب : المطر المستمر . يتصرم : ينقطع . (٥) الذباب : هنا النحل . (٦) هزجاً : طروباً او سريعاً في حركته . يحك ذراعه بذراعه : يصفق الهواء بيناحيه فيحدث صوتاً - كما يفعل الرجل اذا انحنى على زنادة (عود تقدح به النار) قصير فهو يبالغ في حركه حتى تخرج منه نار كافية . (٧) حشية : فراش . سراة : ظهر . ادم : حصان اسود . (٨) عبل الشوى : غليظ القوائم « اي حصان .. » . نهدي مراكله : عالية جوانبه ، والمركل هو المكان الذي يضربه الفارس بالمهاز من بطن الحصان . نبيل : ضخم . المحزم : حيث يشد الحزام . (٩) شذنية : ناقة .. لعنت بمحروم الشراب : انقطع لبنها فكانت اقوى على السير . مصرم : مقطوع ابضاً . (١٠) خطارة : تضرب جانبيها بذنبها « دلالة على نشاطها » . غيب السرى : بعد سير الليل . زيافة : سريرة . وطس : ضرب . الاكام : الاكم ، التلال . الخف : قدم البعير . الميثم : الشديد الوطء والمشي . (اي بقوائم قوية) .

- وكأنما اقص الاكام عشيةً
تأوي له قُصصُ النعام كما أوت
يتبعن قُلةً رأسه ، وكأنه
صعل يعود بذى العشيرة بيضه
شربت بما الدحرضين فأصبحت
وكأنما تنأى بجانب دقها ال
هر جنيب كلما عطفت له
أبقى لها طول السفر مقررماً
بركت على ماء الرِداع كأنما
وكان رباً او كحلاً معقداً
- بقريب بين المتسمين مُصَلِّم (١).
حزقُ يمانيةً لأعجم طمطم (٢).
حرج على نعش لهن نخيم (٣).
كالعبد ذى الفرو الطويل الاصلم (٤).
زوراء تنفر عن حياض الديلم (٥).
وحشي من هزج العشي مؤدم (٦).
غضبي أبقاها باليدى وبالقم (٧).
سنداً ومثل دعائم المتخيم (٨).
بركت على قصب أجش مُضَم (٩).
حش الوقود به جوانب قمقم (١٠).

(١) اقص : (اقبس) . بقريب بين المتسمين : الظلم « ذكر النعام » لان ظفريه قريب احدهما من الآخر . مصم : ليست له اذان ظاهرتان وذلك من صفات الطيور . (٢) تأوي له : تجتمع اليه . قاص النعام : اولادها . حزق : جماعات (من الابل) . الاعجم الطمطم : الذي لا يفهم العرب كلامه . يقول : يتفق هذا الظلم فتجتمع اليه فراخ النعام ، كما تجتمع الابل حول راعيها حينئذ عود بصوت غير مفهوم ، ولكن ابله قد الفت ذلك منه . (٣) يتبعن قلة رأسه : تسير مهتدية باعلى رأسه . كأنه : كأن الظلم نفسه . الحرج : مركب النساء كالهودج ونحوه . نخيم : نجول خيمة . (٤) الصعل : الصغير الراس الدقيق العنق . ذى العشيرة : موضع . يعود بيضه : يأتي ليتفقد بيضه مرة بعد مرة . الاصام مقطوع الاذن (صفة للعبد ؟) - يشبه الظلم بعبد يلبس فرواً سابقاً ، دلالة على ان النعام التي يصفها سود لا بيض . (٥) تعودت هذه الناقة ان تشرب من ينابيع بلاد العرب . « الدحرضين : موضعان في بلاد العرب » فاصبحت تنفر من العجم . (٦) الدف الوحشي : الجانب الايمن من البهائم . من هزج العشي : خوفاً من الذي يحدث صوتاً في الليل ، قيل الهر . مؤدم : عظيم الراس - هذه الناقة تنفر في سيرها الى يمنة كأنها ذلك هر يهاجمها عن يسارها . (٧) جنب : جنوب : مربوط الى جانبها . (٨) السفر : السفر . مقررماً : سناماً متيناً كالقرميد ، وعاليه كالأعمدة التي ترفع عليها الخيمة . (٩) لما بركت « اناخت » . احدثت صوتاً كأنما كانت تبرك على قصب يابس . (١٠) وكان الصوت الذي احدثه في بروكها يشبه صوت القطران (الكحيل والرب) اذ اوقد به بكثرة تحت القمم (القدر الصغيرة) .

ان تُعَدِّفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي
أَتْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي
فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنْ ظَلَمِي بِاسْلُ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا
بِزْجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى
وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجْدَلًا
سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَاعِنَةٍ
هَلَّا سَأَلْتُ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِجٍ
طَوْرًا يُجَرِّدُ لِلطَّامَانِ ، وَتَارَةً

طَبَّ بَأْ خَذَ الْفَارِسَ الْمُسْتَلْتَمَ (١) .
سَهْلٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ (٢) .
مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطْعَمِ الْعَلَقَمِ (٣) .
رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ (٤) ،
قُرْنَتْ بِأَزْهَرٍ فِي الشِّمَالِ مُقَدَّم (٥) .
مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٦) .
وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي (٧) .
تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٨) .
وَرَشَاشٌ نَافِذَةٌ كَلَوْنِ الْعَنْدَمِ (٩) .
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي ؟
نَهْدٌ ، تَعَاوَرَهُ الْكِمَاءُ مُكَلِّم (١٠) .
يَأْوِي إِلَى حَصِيدِ الْقَيْسِيِّ عَرْمَرَم (١١) ،

(١) اغدق القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلم : اللابس الأمانة « الذرع - انا اتغلب على البطل الذي يلبس درعاً ، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟ (٢) سهل - مخالفتي : معاشرتي سهلة . (٣) باسل : كريبه . العلقم : نبات مر . (٤) المدامة : الخمر . ركـد : الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : « الدينار » الخلو الذي فيه كتابة ونقش . (٥) أسـرة : خطوط . أزهر : « ابريق » من فضة أبيض براق . مقدم : عليه الغدام « المصفاة » . (٦) وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح . (٧) الندي : الكرم . الشمائيل : الاخلاق الجميلة . (٨) حليل : زوج . الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها عن الحلي . مجدلاً : ملقى على الارض . تمكو فريصته : ترجف عضلته التي بين كتفه وخاصرته . الشدق : الفم . الاعلم : المشقوق الشفة العليا . (٩) نافذة : طعنة تخرق الجسم . الرشاش : ما تطاير من الدم . العندم : صباغ احمر . (١٠) رحالة : سرج . سابج : حصان سريع . نهـد : عال . تعاوره ، تعاوده : تحيط به وتطعمه مرة بعد مرة . الكماء : الابطال المدججين بالسلاح . مكلم : يجرح . (١١) يجرد : يهبأ . الحصد والعمرم : الكثير - مرة اهجم به على الاعداء ومرة ارجع به الى صفوف قومي المسلحين بالقوس والسهام وهم يرمون بها العدو .

يُنْجِزُكَ مِنْ شَهِيدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي
وَمُدْجَجٌ كَرِهَ الْكُفَاةُ نِزَالَهُ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
بِرَحِيبةِ الْفَرْعَيْنِ ، يَهْدِي جَرُسُهَا
فَشَكَّكَتْ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَ ثِيَابَهُ .
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ
وَمِشَكٌ سَابِغَةٌ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا
رَبَذَ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ أُرِيدَهُ
فَطَعْنَتْهُ بِالرَّمْحِ ثَمَّ عَلَوْتُهُ

أَغَشَى الْوَغَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (١) .
لَا مُمْنَعِينَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَ (٢) ،
بِمَقْفٍ صَدَقَ الْكُعُوبُ مُقُومَ (٣) ،
بِالْليلِ مُعْتَسَ الذَّنَابِ الضَّرْمَ (٤) .
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمَ (٥) .
يَقْضُمْنَ حُسْنَ بِنَانِهِ وَالْمِعْصَمَ (٦) .
بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلَمَ (٧) ،
هَتَاكَ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوِّمَ (٨) .
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسِّمِ (٩) ،
بُمَهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمَ (١٠) .

(١) الوقعة المعركة . - اشترك في القتال من غير ان آخذ شيئاً من الغنائم . (٢) المدجج « بفتح الجيم الاول وكسر ها » الكثير السلاح - لا يهرب من المعركة ولا يستسلم لخصمه . (٣) المثقف : لرمح المقوم . صدق الكعوب : صلب ، قوي العقد « لان الرمح قد يكون من قصب فارسي . (٤) رحبية : واسمة . الفرغ : جانب الدلو ، حيث يصب الماء . الجرس : الصوت . المعتس : الذي يطلب شيئاً في الليل . الضرم جمع ضارم : جائع - ان صوت خروج الدم من هذا الجرح الواسع تسمعه الذئاب في الليل فتسرع الى صاحبه . (٥) الاصم ، الصلب ، غير الاجوف . ثيابه : كناية عن جسمه كله . القنا : الرماح . (٦) جزر السباع : مذبح لنا كله الوحوش . فاشه : تناوله من اطرافه . قضم : قطع باسنانه . البنان : رؤوس الاصابع . (٧) مشك سابعة : لابس درعاً ضافية واسمة . هتكت فروعها : شقت فيها شقوقاً واسمة . حامي الحقيقة : الذي يحمي عرضه وقومه واموالهم . معلم : كاشف عن وجهه . كان الابطال الشجعان لا يتقنعون في الحرب حتى يعرفهم خصومهم . (٨) ربذ يدها بالقداح : بارع في لعب القمار . اذا شتى : في الشتاء « فذاك ادل على غنى صاحبه ، لان الشتاء في البادية فصل قحط » . هتاك غازيات التجار : ممزق رابات تجار الخمر (كان تجار الخمر يرفعون راية ما دام عندهم خمر ، وقد يتفق ان يأتي رجل غني كريم فيأمر بانزال الراية واسقاء الناس على حسابه حتى تنفد تلك الخمر) . ملوم ، يلام على انفاقه ماله في مثل هذا السبيل . (٩) ابدي نواجذه « اضراسه » ، ضحك . (١٠) مهند ، سيف . مخذم ، قاطع .

- عهدي به مدّ النهار كأنما
بطل كأن ثيابه في سرحة
ولقد ذكرك والرماح نواهل
فوددت ثقيل السيوف لأنها
ياشاة ما قنص لمن حلت له ،
فبعثت جاريتي وقلت لها: «أذهبي
قالت: «رأيت من الاعادي غرة»
وكأنما التفتت بحيد جداية
نسبت عمراً غير شاكر نعمتي .
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى
في حومة الموت التي لا يشتكي
- خُضِبَ البَنانُ ورأسه بالعِظْلَم (١).
يُحْذَى نَعَالُ السَّبْتِ ، ليس بتوأم (٢).
مني ، وبيض الهند تقطر من دمي (٣).
لمت كبارق ثغرك المتبسم .
حرمت علي وليتها لم تحرم (٤).
فتجسسي اخبارها لي واعلمي .
والشاةُ ممكنة لمن هو مُرْتَم (٥).
رشاً من الغزالان حرّ ارثم (٦).
والكفر مخبئة لنفس المنعم (٧).
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (٨).
غمراتها الابطال غير تغفم (٩).

(١) مد النهار : طول النهار . العظم : شجر احمر . - لا ازال اذكر انه بقي طول النهار ملقى على الارض مضرجاً بدمه . (٢) كأن ثيابه في سرحة « شجرة طويلة » : كناية عن طول قامته هذا البطل . يحذى نعال السبت : يابس حذاء من جلد رقيق مدبوغ « كناية عن غناه » . ليس بتوأم : لا مثيل له « في شجاعته » . (٣) نواهل : شاربات « من دمي » . بيض الهند : السيوف . (٤) ما زائدة . شاة قنص : طريدة « صيد » . - يخاطب عبلة فيقول : انت نصيب لكل رجل يدفع مهرك ، ولكنك حرمت علي انا وحدي . (٥) الاعادي : اهل عبلة « هنا » . غرة : غفلة . الشاة : المرأة ، ايضاً « عبلة » . ممكنة لمن هو مرتم : اي ان الذي يهجم عليها يستطيع خطفها . (٦) جيد : عنق . الجداية : الرشا « الغزال الصغير » . الحر : الصافي البياض . ارثم : له سواد في شفته العليا . (٧) اخبرت ان عمراً « اباه » ؟ لا يعترف بافعالي في الحرب . والكفر مخبئة لنفس المنعم : ان الجحود يمنع المحسن من معاودة احسانه . (٨) الوصاة : الوصية . عمي : « لعله مالك ابو عبلة » . الضحى : الصباح . تقلص الشفتان عن وضح الفم : تقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان . (٩) حومة الموت : المعركة . غمراتها : شدائدتها . تغفم : صوت غير مفهوم . - عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد « لانفوز بعبلة » .

- اذ يَتَقُونَ بِيِ الْاِسْنَةِ ، لم اخم
 لما سَمِعْتَ نداء مُرَّةً قد علا ،
 وَمَحَلَّمٍ يَسْعُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمْ ،
 اَيَقْنَتْ اَنْ سَيَكُونُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ
 لما رَأَيْتَ الْقَوْمَ اَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
 يَدْعُونَ : عَنَتْرًا وَالرِّمَاحَ كَأَنهَا
 ما زِلْتَ اَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ نَحْرِهِ
 فَأَزُورُ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانَهُ
 لو كَانِ يَدْرِى مَا الْمَحَاوِرَةُ اشْتَكَى ،
 وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَابِسًا
 وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأُ سَقَمَهَا
 ذُلُّ رُكَايَ حَيْثُ شِئْتُ ، مُشَايَعِي
- عنها ، وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقَدِّمِي (١) .
 وابْنِي رَبِيعَةً فِي الْقُبَارِ الْاَقْتَمِ (٢) ،
 والموت تَحْتَ لَوَاءِ آلِ مَحَلَّمِ (٣) .
 ضَرْبُ يُطِيرُ عَنِ الْفِرَاحِ الْجُثْمِ (٤) .
 يَتَذَامِرُونَ ، كَرَدَتْ غَيْرَ مُذْمَمِ (٥) .
 أَشْطَانُ بَشَرٍ فِي لَبَانِ الْاَدْهَمِ (٦) .
 وَلَبَانُهُ ، حَتَّى تَسْرِبِلَ بِالْدمِ (٧) .
 وَشَكَا إِلَيَّ بِمَبْرَةٍ وَتَحْمَحِمِ (٨) .
 وَلَكِنْ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامُ مَكْلَمِي .
 مَا بَيْنَ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٩) .
 قِيلَ الْفَوَارِسُ : «وَيْكَ عَنَتْرُ» أَقْدَمِ (١٠) .
 قَلْبِي ، وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرِ مُبْرَمِ (١١) .

(١) يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتى لا تصيبهم الرماح . خام ، نجيم : جبن ، تراجع .
 تضايق مقدمي : ان كثرة الفرسان امامي منعت حصاني من ان يتقدم . (٢) الاقتم : الاسود .
 (٣) مرة وربيعه وعلم : قبائل . (٤) اللقاء : الحرب . ضرب يطير «لشدته» امات الطير عن فراخها
 التي تجثم عليها وتحضنها . (٥) يتذامرون : يحض بعضهم بعض . كورت : هجمت . غير مذمم : غير
 مذموم . (٦) ينادون يا عنتره ! بينها كانت الرماح تتوالى على صدر حصاني الاسود كما تتوالى
 الاشطان «الجال» نازلة وصاعدة في البشر «لاستقاء الماء» (٧) ثغرة نحره : مقدمة صدر الحصان .
 تسربل : اكنسى . (٨) ازور : مال . عبرة : دعة ، بكاء . تحميم : صوت منقطع . (٩) الجبار :
 الارض اللينة ذات الحفر . الشيطم : الحصان الطويل . الاجرد : القصير الشعر .
 (١٠) قيل : قول . ويك : انتبه (١١) «مطايبي تطيعني الذهاب وقاتي شجاع يصحبنى في كل رحلة او
 حرب ، وكذلك ادهم شجاعة قلبي بامر مبرم » بمنزوم ولا اتردد .

ولقد خَشِيتُ بَأْنَ اموتَ ولم تدرُ
 للشائتي عِرضي ولم اِشْتُمَها
 للحرب دائِرةٌ على ابْنِي ضَمَضَمَ (١)
 والناذرين اذا لم اَلْقَهما دمي (٢)
 جَزَرَ السباع وكل نَسَرَ قَشَعَمَ (٣)
 ان يفعلا فلقد تركت اباهما

(١) خفت ان اموت قبل ان اقتل هرمًا والحسين ابني ضمضم . ٢) الذين ... يتوعداني بالقتل ما داموا بميدان عني ، فاذا رأيتني خافا مني . ويروى : والناذرين اذا لقيتها دمي - يقصد انها يقولان اذا رأيتاه فسنقتله . ٣) ولو قتلتني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل .
 • وقد قتل احد بني عباس هرمًا في حرب داحس والغبراء كما علمت عند الكلام على معلقة زهير بن ابي سلمى (راجع ص ١٢٨) .

الفهرست

٣	الكلمة الثانية : نطاق هذه الدراسة
٥	الكلمة الاولى : صحة الشعر الجاهلي
٧	الجاهلية والشعر الجاهلي : خصائصه واغراضه
١٦	فنون الجاهلية :
١٧	١ - باب الادب والحكم والامثال
٢٤	٢ - المديح والاعتذار
٢٥	٣ - الفخر والحماسة (والملاحم)
٤٠	٤ - الرثاء
٥٢	٥ - الهجاء
٥٤	٦ - الغزل والنسيب
٥٩	٧ - المأمر
٦٣	٨ - الوصف
٦٤	شكل القصيدة الجاهلية

الشعراء الخمسة

٦٥	امرؤ القيس
٧٩	طرفة
٩٥	الناطقة
١٢٨	زهير بن ابي سلمي
١٣٢	عنزة

نخبة من دراسات وكتب

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الشمس بالقرش اللبناني

دراسات قصيرة

- ٤٠ ١ - الحجاج بن يوسف (الطبعة الثانية)
- ٧٥ ٢ - عمر ابن ابي ربيعة (الطبعة الثانية)
- ٤٠ ٣ - عبد الله بن المقفع (الطبعة الثانية)
- ١٠٠ ٤ - الرسائل والمقامات (الطبعة الثانية)
- ٥٠ ٥ - ابن الرومي (الطبعة الثانية)
- ٦٠ ٦ - احمد شوقي (الطبعة الثانية)
- ٥٠ ٧ - ابن خلدون (الطبعة الثانية)
- ٨ - اثر الفلسفة الاسلامية
- في الفلسفة الاوروبية (الطبعة الثانية)
- ٩ - شعراء البلاط الاموي (الطبعة الثانية) ١٢٥
- ١٠ - الفارابي : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية) ١٠٠
- ١١ - اربعة ادباء معاصرين (الطبعة الثانية)
- ١٢ - خمسة شعراء جاهليون (الطبعة الثانية) ١٥٠
- ١٣ - بشار بن برد (الطبعة الثانية) ١٢٥
- ١٤ - نهج البلاغة ٥٠
- ١٥ - اخوان الصفا ٢٥٠
- ١٦ - ابن باجه ١٠٠

- ١٢٥ - ١٧ - ابن طفيل
 ٢٠٠ - ٨١ - التصوف في الاسلام
 ١٥٠ - ١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
 ١٠٠ - ٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية

دراسات آخر

- ١٥٠ ابو نواس : دراسة ونقد (الطبعة الثالثة)
 ٥٠ ابو نواس : مختارات
 ١٠٠ ابو تمام
 ٢٠٠ حكيم المعرفة (الطبعة الثانية)
 ٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة
 الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الثالثة)
 ١٠٠ نحو التعاون العربي
 (نقد) دفاعاً عن العلم
 ٥٠ دفاعاً عن الوطن
 ٤٠٠ الاسرة في الشرع الاسلامي
 600 - Das Bild des Frühislam in
 der arabischen Dichtung
 von der Hira bis zum Tode
 Umars, I -23 d. H. (622 - 644 n. Ch.
 Leipzig 1937.
 ٢٥ الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية)

يمكن الحصول على هذه الدراسات من :
 السيد محمد الحوجة
 ١٥ نهج باب المنارة - تونس

892.7109;
F24FA

J. Lib.

~~1 OCT 1967~~

~~4 NOV 68~~



~~10 Jun 68~~

~~11 Dec 68~~

~~1 Oct 68~~

~~10 JUN 1973~~

~~10 SEP 1974~~

~~30 DEC 1968~~

~~9 JUN 1970~~

~~2 JUN 69~~

JAFET LIB.

~~1 OCT 1977~~

~~1 DEC 1970~~

~~1 Feb 71~~

~~22 DEC 1976~~



فروغ، عمر
خمسة شعراء جاهليون مع تمهيد مفصل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036435

892.7109

F246KA